

١٢

# الكتاب العربي في اليوم



قسم الخدمة العامة  
بالجامعة الأميركية بالقاهرة



2260  
122

2260.122

*Dep.*

American University at  
Cairo

Alam al-arabi al-yawm

| DATE | ISSUED TO |
|------|-----------|
|      |           |
|      |           |
|      |           |

| DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE |
|-------------|----------|-------------|----------|
|-------------|----------|-------------|----------|

NOV 13

JUN 15 2016



Princeton University Library



32101 073827238















# العالم العربي اليوم

سلسلة بحوث في العالم العربي اليوم

لتحفة من فادة الرأي في مصر

American university at Cairo

عنى بنشره

قسم الخدمة العامة

بالجامعة الأميركية بالقاهرة

١٩٤٦

المطبعة المصرية بمصر

لصاحبها: الياس انطون الياس

٦- الخليج الناصري بالقاهرة



# فهرس

---

- ( ١ ) « البيئة الجغرافية للأقطار العربية »  
دكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى
- ( ٢ ) « شعوب الأقطار العربية »  
دكتور عباس عمار
- ( ٣ ) « الحياة الاقتصادية فى البلاد العربية »  
الأستاذ سامى السراج
- ( ٤ ) « مكانة المرأة فى البلاد العربية »  
صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوى
- ( ٥ ) « النظم التشريعية وحقوق الانسان فى البلاد العربية »  
سعادة دكتور عبد الحميد بدوى باشا
-



## العالم العربي اليوم

كان في مقدمة المسائل التي أثارت اهتمام الشرق الأوسط في خريف عام ١٩٤٤ انشاء الجامعة العربية ، ولم يكن يخفى ما لهذا الحادث من أهمية كبرى وأثر بالغ في تقدم البلاد العربية ومعاونة هيئة الأمم المتحدة في تنظيم العالم كله، لذلك عني قسم الخدمة العامة بالجامعة الأميركية بتنظيم سلسلة بحوث في موضوع « العالم العربي اليوم » القيت في شتاء عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وتفضل بإعداد البحوث والقائها ومناقشتها ثمانية من الأساتذة المعروفين بسعة اطلاعهم ورسوخ قديمهم في الموضوعات التي عالجوها على النحو التالي .

دكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى  
استاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول  
« البيئة الجغرافية للأقطار العربية »

دكتور عباس عمار  
المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول  
« شعوب الأقطار العربية »

الاستاذ سامى السراج  
« الحياة الاقتصادية في البلاد العربية »

الأستاذ خليل بك ثابت  
عضو مجلس الشيوخ  
« الحياة الاجتماعية في البلاد العربية »

سماعة دكتور عبد الحميد بدوى باشا  
وزير الخارجية سابقاً  
« النظم التشريعية وحقوق الانسان في البلاد العربية »

صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوى  
رئيسة الاتحاد النسوي  
« مكانة المرأة في البلاد العربية »



دكتور ابراهيم بيومي مذكور  
عضو مجلس الشيوخ

« الحياة الثقافية في البلاد العربية » }

دكتور محمود عزمي  
المستشار الملكي المساعد

« الأسس التي يمكن أن يشاد عليها  
حلف عربي » }

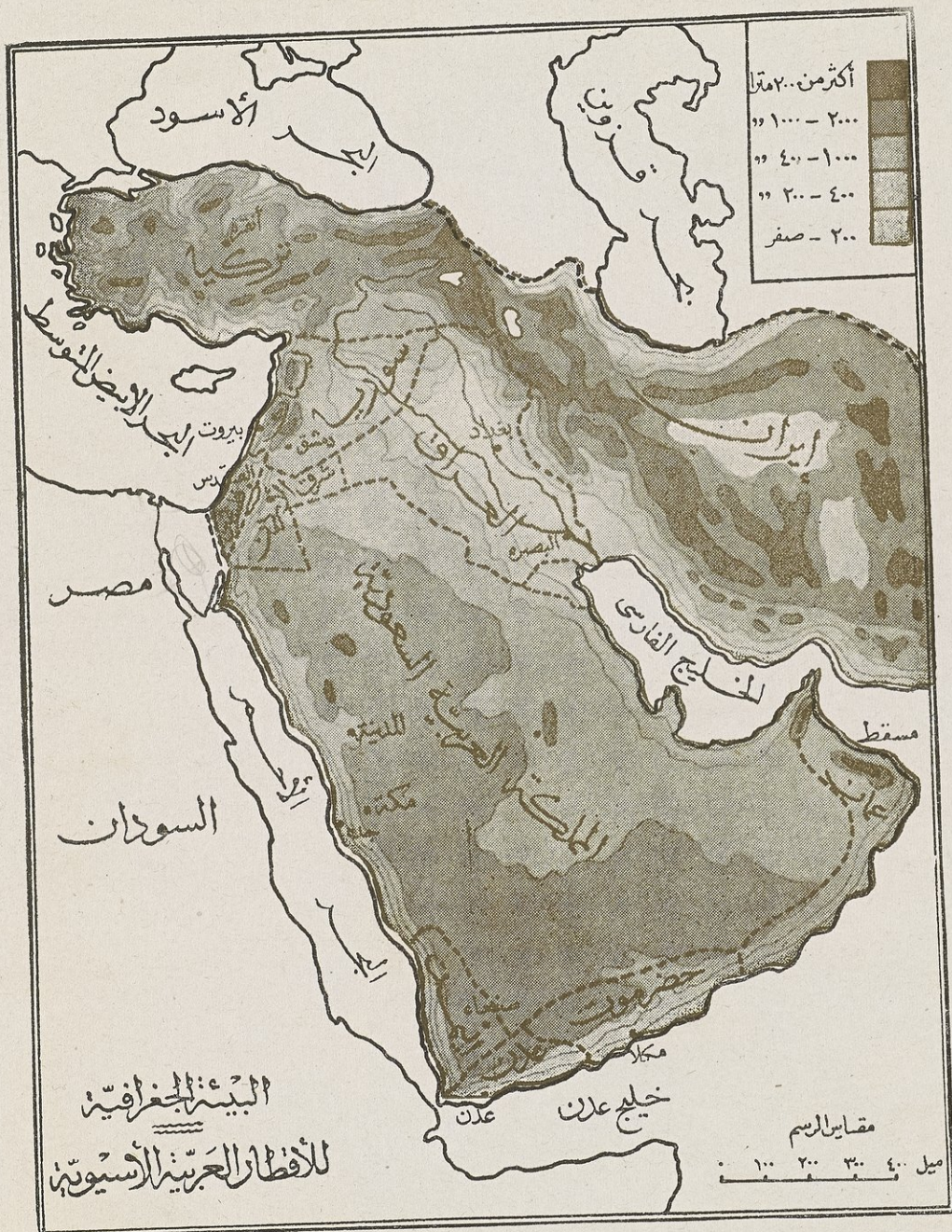
ويسر قسم الخدمة العامة أن أتيح له طبع خمسة بحوث من الثمانية التي أقيمت وجمعها في كتاب واحد وهو إذ يقدمها للمهتمين بدراسة هذه الموضوعات يسجل فضل حضرات المحاضرين الذين قاموا متطوعين بأعداد البحوث والقائماً وتهيتها للطبع ثم تصحيح مسوداتها ما

ونزل كاتبه

مدير قسم الخدمة العامة بالجامعة الأميركية بالقاهرة

---











## البيئة الجغرافية للاقطار العربية الاسيوية

للمكتور محمد عبد المنعم السرفاوى

الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

تسكاد تنتظم هذه الوحدات العربية لتكون فى مجموعها ماجرى العرف على تسميته باسم « الشرق الادنى » ؛أما من الناحية الجغرافية البحثه فان هذه الأقطار تدخل ضمن مايعرف تحت مصطلح « هضاب جنوب غرب آسيا » وهنا تسود اللغة العربية بحيث تصبح أهم الصفات المميزة ومن ثم كثر وشاع استعمال تعبير « آسيا العربية » . وليس من شك ان هذا القول يقوم على الاساس اللغوى لدرجة أعظم بكثير من الاسس الاخرى المشتركة مثل البيئة والتضاريس والمناخ والنبات والجنس والدين والنظور الحضارى والاقتصادى والسياسى . وفى الحق تكون هذه الاقطار فى جملتها وحدة جغرافية ذات صفات خاصة بها وفى الوقت ذاته تبدو صورتها بحيث تختلف عما يجاورها .

وقد كان الموقع الجغرافى ولا يزال أعظم العوامل الجغرافية التى حددت اشكال الحياة فى هذه الوحدة وقررت مصيرها منذ أقدم عصور تاريخ الحضارات البشرية الراقية . ولوقوعها فى وسط العالم القديم بين اوربا وآسيا وأفريقية أصبحت ملتقى أهم الطرق التى كانت تصل بين اوربا والشرق الاقصى وكذا الطرق البرية التى تربط بين اوربا وأفريقية . وقد حدد توزيع الصحارى واتساع امتدادها مواطن خطوط الانتقال والاتصال وبالتالى مركزها فى الشريط الضيق الذى يحف بصحراء سوريا والذى يعرف باسم « الهلال الخصيب » ، وفيه جرت المواصلات بين شواطئ البحر الابيض والخليج الفارسى ، وهكذا تطورت أهمية هذا الشريان الطبيعى حتى أصبح التزاخم والتنافس من أجل امتلاكه أو فرض السيادة عليه من أهم ما جاء به التاريخ منذ أقدم العصور . ويمكن القول ان تاريخ الشرق الادنى هو بعينه تاريخ النضال بين سكان الحافات الجبلية فى الشمال والجماعات الصحراوية فى الجنوب بشأن هذا « الهلال الخصيب » الذى يشمل نطاقه مواطن عدد من أقدم الحضارات البشرية وأرقاها كما شهد قيام ثلاث امبراطوريات عظيمة فى آشور وسومر وابل ورأى عصور ازدهارها ومراحل انحلالها واختفائها .



وقد كان هذا النطاق الضيق بفضل حياته العشبية الغنية نسبياً يمثل قطباً مغناطيسياً تنجذب اليه عناصر السكان في حالة ازديادها الطبيعي وتقصد اليه الهجرات الدورية الناتجة عن اثر الجفاف في ربوع مراعى الاستبس في بلاد العرب وروسيا وغرب آسيا ، كما جاءت اليه العناصر السامية المهاجرة عن طريق مدخليه في الطرفين الشرقي والغربي . ويلوح ان الأودية الرئيسية لعبت دوراً هاماً إذ كانت تمثل بدورها خطوطاً ثانوية تؤدي في النهاية الى مركز الجاذبية ومن أشهرها وادي الرمة الذي يبدأ في نجد الغربية وينتهي قرب مصب شط العرب في الخليج الفارسي ثم وادي سرحان الذي يبدأ في اقليم الجوف ويقصد الى منطقة حوران وهضبة شرق الاردن. وما زالت طرق القوافل التي تخرج من قلب اقليم نجد تستخدم هذين الطريقين الطبيعيين .

ويجمل بنا أن نذكر ان الطبيعة قد رسمت حدود آسيا العربية بعناية إذ منحتها خطوطاً تضاريسية بارزة ونخص بالذكر حدها الشمالى الذى يتفق مع الحائط المرتفع الذى يمثل حافة هضاب آسيا الصغرى وايران ونقصد هنا جبال طوروس وامتدادها الشرقى في مرتفعات كردستان، وتقوم جبال زاغرس بمهمة الحراسة على الجانب الشرقى . وفيما عدا برزخ السويس الضيق الذى يفصل بينها وبين أفريقيا تطل أجزاءها في الشمال الغربى على البحر الابيض المتوسط وفي الجنوب الغربى على البحر الاحمر وفي الجنوب والجنوب الشرقى على البحر العربى وخليج عمان والخليج الفارسى .

وأهم مظاهر التضاريس في هذه الوحدة الجغرافية هضبة بلاد العرب التى تظهر حافتها الغربية المطلة على البحر الاحمر على شكل حائط مرتفع على حين تتدرج ببطء نحو الشمال والشمال الشرقى حيث سهول الجزيرة والخليج الفارسى . غير ان هضبة بلاد العرب تغير مظهرها العام عند جانبيها في الشرق والغرب إذ تظهر الجبال المرتفعة التى تمتد في عمان والى يرجح انها من حيث بنيتها ونظام تكوينها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنظائرها في جنوب ايران ، اما على الجانب الغربى فتظهر هنا جبال سورية ولبنان وفلسطين التى أثرت لدرجة عظيمة في المناطق التى توجد فيها ، ومن ثم أصبحت من أهم مظاهر التضاريس وأبرزها . ويختلف اتساع السهل الساحلى في محاذة ساحل البحر الابيض المتوسط من جهة عن الاخرى بسبب اقتراب أو ابتعاد السلاسل الجبلية من الشاطئ . واذا كان السهل الساحلى يبدو ظاهراً ومتسعاً في فلسطين فانه يظهر على



شكل شريط ضيق في لبنان حيث تقترب جداً جبال لبنان الغربية التي تحتضن الشاطئ وتمتد محاذية له .

والى خلف هذا النطاق الجبلى يشتد الانحدار نحو المنخفض الاخدودى العميق الذى يغلب على اتجاهه العام أن يكون من الشمال الى الجنوب حيث يفرغ مياهه فى البحر الميت (بحر لوط). والى شرق هذا الاخدود المنخفض تقوم سلاسل جبال لبنان الداخلية التى يعظم ارتفاعها واتساعها فى سورية على حين انها فى امتدادها نحو الجنوب حيث تظهر فى تلال مؤاب فى شرق الاردن تكون أقل ارتفاعا واتساعا، ويلحظ ان الانحدار نحو الشرق يكون بطيئاً وتدرجياً .

ويظهر للباحث أن مظهر البساطة وقلة التعقيد التى تميز معالم التضاريس فى هذه الوحدة انما يرجع الى عامل البساطة التى يتميز بها تركيبها الجيولوجى . ذلك انه من الناحية الجيولوجية البحتة يمكن القول ان معظم هضاب جنوب غرب آسيا يتبع الهضبة الافريقية على حين ان عمان وأراضى الخليج الفارسى تتبع التاريخ الجيولوجى لايران المجاورة . ويمثل النطاق الجبلى الذى يتكون من جبال زاغرس ومرتفعات كردستان وطوروس الخط الفاصل بين النظامين الجيولوجيين الاسيوى والافريقى . وليس من شك ان هضبة بلاد العرب وصحراء سوريه يمكن اعتبارها امتداداً للنطاق الصحراوى الافريقى العظيم ولا يقتصر التشابه على نوع الصخور ونظام الطبقات ووجود بعض المرتفعات والمنخفضات بل تتكاد تتشابه لدرجة عظيمة فى مظاهر المناخ السائد . أما إيران وأرمينية وآسيا الصغرى وجميعها خارج هذه الوحدة الجغرافية فترتبط مع آسيا الوسطى سواء فى التاريخ الجيولوجى ومظاهر التضاريس ، حيث الجبال الالتوائية والادوية التى تفصل بين سلاسلها والتى تمتلىء بالتدرج بفضل ما يجيئ اليها من الرواسب .

ويلحظ انه يصعب الفصل بين مظاهر التضاريس وآثار المناخ السائد فى ربوع جنوب غرب اسيا . واذا كانت المنحدرات الشمالية لهضبة بلاد العرب تبدو منبسطة متدرجة فانما يرجع ذلك الى المناخ الجاف والى بروز أثر عوامل التعرية الجافة وندرة التجارى المائية بصفة عامة . ولا تقوم السلاسل الجبلية بوظيفة الفصل بين الاجزاء المختلفة إلا فى حالات نادرة بل يغلب أن تقوم بهذه المهمة المساحات الكبيرة من الصحارى القاحلة الجرداء . ولا توجد الانهار الدائمة إلا فى مناطق الحافات الممطرة ومن خير الامثلة نهرا دجلة والفرات اللذان ينبعان فى الخارج ويستمدان مياههما من ثلوج عقدة ارمينية بعد ذوبانها . كذلك فى الغرب يوجد نهرا العاصى



والاردن وفيما عدا هذه الانهار الدائمة الجريان وأماها تتكرر ظاهرة الاودية والسهول التي تمتلئ بمجاريها بالمياه في فصل الامطار ثم تجف متى حل فصل الجفاف الطويل .

وقد حددت الطبيعة طرق الانتقال عبر هذه الهضاب فمثلا كانت المسالك الرئيسية للاتصال بين حوض البحر الابيض المتوسط والاقاليم الموسمية في جنوب اسيا وشرقها تتبع الطرق الآتية :

١ - طريق البحر الاحمر وما يتصل به من الطرق الثانوية على الجانبين .

٢ - طرق الخليج الفارسي التي كانت تربط بين ساحل البحر الابيض المتوسط الشرق وأراضي الجزيرة والخليج الفارسي وهذه كانت بطبيعة الحال تجرى عبر « الهلال الخصيب » الذي يحده شمالا النطاق الجبلي المرتفع ويحف به من الجنوب الصحراء السورية العظيمة وقد كانت حلب ومنطقتها على اتصال بالبحر الابيض المتوسط وكانت تؤدي اليها الطرق الآتية :

١ - الطريق من قيليقية عبر ممر بوعجة في سلسلة جبال امان الى سنجق وحلب .

٢ - الطريق من الاسكندرونة عبر ممر بيلان الى حلب .

٣ - الطريق من ساحل البحر الابيض عبر عنق نهر العاصي ومن ثم الى حلب .

ولا يمكن المبالغة في تقرير أهمية هذه الطرق إذ يكفي أن نذكر ان التنافس بشأنها بلغ أشده بين دول الحضارات القديمة الراقية مثل مصر وبابل وآشور وايران واليونان والرومان وقد تجدد هذا الصراع في الوقت الحاضر ولم يعد الامر قاصراً على الوحدات السياسية التي يهمها الموضوع مباشرة بل دخلت الدول العظمى حلبة المنافسة .

أما في بلاد العرب الاصلية فأهم الطرق :

١ - الطريق من البصرة في شرق الاردن عبر الجوف الى حائل عاصمة النفود . وقد كان هذا الطريق ولا يزال حلقة الوصل بين الطرف الغربي للهلال الخصيب وأواسط بلاد العرب الشمالية .

٢ - الطريق من دمشق في سوريه الى صنعاء في اليمن ماراً بالمدينة ومكة وهذا الطريق بدوره كان يربط بين الطرف الغربي للهلال الخصيب وقلب بلاد العرب الجنوبية الغربية .

٣ - الطريق من البصرة عند رأس الخليج الفارسي الى صنعاء في اليمن ماراً ببريدة في نجد



ومكة في الحجاز . وهكذا كان هذا الطريق يربط بين الطرف الشرقى للهلال الخصيب ومراكز الحضارة في شمال بلاد العرب وجنوبها .

وقد كان الطريق الاول والثالث يتبعان لدرجة عظيمة أودية سرحان والرمة وقد سلكتهما أيضاً هجرات العناصر السامية نحو الشمال الى « الهلال الخصيب » أما الثانى فقد كان الطريق التجارى بين الهند والغرب وقد عظم أثره وذاعت شهرته بعد ظهور الاسلام .

ويلوح أن توزيع هذه الطرق الطبيعية قد جاء نتيجة المجهودات البشرية العظيمة التي أريد بها التغلب على الصعوبات الطبيعية ممثلة في مظاهر التضاريس سواء كانت الجبال العالية كما هي الحال في الحجاز الجبلى الشمالى أو بقصد اجتناب المناطق الصحراوية الجافة الموحشة التي تسكد تخلو من الماء والنبات مثل اقليم الدهناء أو النفود ذات الكشبان الرملية العالية أو الاحقاف ذات الكشبان الرملية الناعمة المتحركة أو الحرات ذات السطح الصخري البركانى ؛ وهكذا جاء اختيار هذه الطرق للربط بين أجزاء الاقطار العربية الاسيوية بعضها ببعض الآخر . وفي جميع هذه الحالات لعبت الواحات وأماكن الكلاً ومواطن الينابيع والآبار دوراً هاماً في تيسير عمليات الانتقال على طول هذه الطرق المجهدة سواء في السلم أو في الحرب .

أما المناخ فيختلف باختلاف الموقع وخط العرض إذ تختلف الأجزاء الغربية مثلاً عن نظائرها في الوسط أو الشرق كما يختلف مناخ الجهات المعتدلة الشمالية عن نظائرها المدارية الجنوبية . وعلى ذلك نجد أن فلسطين ولبنان وسوريه والعراق والهلال الخصيب بصفة عامة تدخل ضمن قائمة الاقاليم التي تشترك بأنصبة متفاوتة في المظاهر المناخية التي تتمثل في نوع مناخ البحر الابيض المتوسط . وفي الواقع يمكن اعتبار مناخ هذه الاقاليم امتداداً لهذا النوع من المناخ في غرب اسيا . أما معظم بلاد العرب فيتبع لدرجة عظيمة مناخ النطاق الصحراوى المدارى الافريقى ويمكن اعتبارها امتداداً لهذا النوع المناخى الافريقى في جنوب غرب آسيا ؛ ولهذا كانت الامطار الشتوية في الأجزاء الشمالية تابعة في أصلها ومسبباتها لحوض البحر الابيض المتوسط، وهى التي يرجع اليها الفضل في التمييز بين الأجزاء المختلفة من حيث المقدرة على الانتاج الزراعى أو الرعوى أو الغابى، وبالتالي تحديد مواطن السكنى والحضارة والعمارة .

وتعتبر بلاد العرب الأصلية من أجف جهات العالم ويزيد جفافها كونها محاطة لدرجة عظيمة بنطاق من الحافات العالية التي تقف جانلاً عظيم الاثر دون أن يتعدى أثر الرياح المحملة



بالبحر النطاق الساحلى فى معظم الاحيان . ومن ثم كان نصيب الجهات الداخلية من الامطار ضئيلا للغاية . ولهذا تصبح بلاد العرب فى فصل الصيف شديدة القىظ بالغة الحرارة والجفاف . ولا يشذ عن ذلك سوى الحافات المرتفعة فى الجنوب الغربى والجنوب الشرقى لأنها تصيب قدراً لا بأس به من الامطار الصيفية الموسمية . وهكذا تكاد هذه العوامل تحدد موطن الانواع النباتية الطبيعية وتقرر أوجه النشاط البشرى فى الاجزاء المختلفة . واذا كانت الزراعة ممكنة حيث يتوافر الماء فانها تركزت فى الجهات التى تصيب من الامطار قدراً كافياً كما هى الحال فى موطن الانتاج الزراعى فى فلسطين ولبنان وسوريه واليمن وعمان ، وحيث يمكن الانتفاع بمياه الانهار كما هى حالة اراضى العراق الزراعيه ، وفى النهاية حيث توجد الينابيع ويمكن حفر الابار كما هى الحال فى الواحات المختلفة . أما الرعى فقد أصبح الحرفة الغالبة فى جميع مناطق السكلاً ، وتركت الجهات الجافة الصحراوية الرملية أو الحصوية أو الصخرية خالية أو شبه خالية من السكان ومن مظاهر النشاط البشرى بصفة عامة .

غير انه يظهر ان صور الاجزاء المختلفة من اسيا العربية قد تغيرت وتبدلت على ممر العصور . ويلوح ان أهم العوامل التى سببت هذا التغير كانت تمت الى المناخ بصلة قوية كما جاءت به ابحاث هنتنجتن وبروكس وأمثالهما فيما يتعلق بالتغيرات المناخية . ويكاد يتفق الجميع على ان هذا القسم من العالم قد شمله الجفاف التدريجى ، والادلة على هذا القول كثيرة ومتعددة فمثلا تظهر بعض الجهات التى كانت فى وقت ما تعج بالسكان وتحفل بمظاهر الثراء المادى والحضارة الراقية وكأنها قد فقدت ثراءها ورخاءها وهجرها كثير من سكانها ولم يبق بها سوى هؤلاء الذين ارتضوا لأنفسهم هذه الحياة القاسية فى ظل هذه البيئات الفقيرة المتأخرة . ويذهب هنتنجتن الى تعداد البراهين المتنوعة لدعم نظرية الجفاف فيذكر الجسور الرومانية القديمة التى تبدو الآن قائمة على جوانب المجرى والغدران الجافة المتربة فى سوريه ، وكذا بقايا الحياة الشجرية فى مناطق لا أثر للاشجار فيها الآن كما هى الحال فى شمال سوريه . ويضيف الى ذلك اثار العمارة والحضارة من منازل السكنى وبقايا الينابيع والآبار والنافورات والاعمال الهندسية المائية التى ما زالت قائمة فى قلب الصحراء وتنطق بالبرهان الملموس شهود عدل على ما كانت عليه هذه الجهات أثناء عمرانها وازدهارها وتوافر الماء بها .

واذا كانت بلعيرا ( تدمر ) قد نجحت ابان القرن الثالث الميلادى فى ان توسع دائرة نفوذها وسلطانها ليشمل سوريه وأراضى الجزيرة وجزءاً من القطر المصرى فانها الآن لاتضم



أكثر من مائة اسرة فقيرة مجعدة راضية بالكفاف في بيئتها الفقيرة الضامرة . وقد كانت بطره ( البطراء ) من أعظم مراكز القوافل في ذلك العصر ومع هذا فقد أصبحت الآن خاوية على عروشها وتركها أصحابها تندب حظها العاثر وجفافها القاتل كما اختفت أيضا مظاهر النشاط التي كانت تظهر على طول طرق القوافل المتفرعة منها الى غزة وخليج العقبة والخليج الفارسي . ويجد الباحث في السكتب السماوية من الادلة والشواهد ما يؤيد الرأي الخاص بالجفاف التدريجي ؛ وإذا كانت أسباب مثل هذه التغيرات المناخية مازالت مجهولة فانه قد أصبح مقررًا وثابتًا ان تاريخ هذه الاقاليم قد تأثر كثيرا بسبب هذه الدورات المناخية وما ترتب عليها من التغيرات سواء في توزيع الحرارة أو درجة الرطوبة ، وليس الامر قاصرا على اقطار الشرق الادنى بل توجد جهات أخرى تعرضت لمثل هذه الظاهرة ومن خير الامثلة جنوب غرب الولايات المتحدة . وليس من شك ان كمية الامطار في الشرق الادنى قد أصابها الضعف بدليل ما جاءت به دراسات مستويات المياه في البحار الداخلية والبحيرات مثل قزوين والميت وطبرية وأمثالها . ويضيق المقام عن سرد الادلة المتنوعة الاخرى التي تؤيد حدوث التغيرات المناخية حتى أصبح الامر حقيقة علمية مدعومة . وقد حاول هنتنجتن التاريخ لفترات الجفاف وذهب الى افتراض ان الدورة المناخية كانت حسب أبحاثه وملاحظاته تستمر نحو ثمانية سنة ولكن هذا الفرض مازال معلقا وهناك من يفترض للدورة المناخية فترة أقصر بكثير وقد دعا البعض الى قبول فترة ثلاث سنوات وجاء غيرهم بفترة احدى عشرة سنة ونادى آخرون بفترة مداها يتراوح بين خمسة وستة وثلاثين عاما .

هذه الظروف الجغرافية تركت اثرها في اجزاء الاقطار العربية وحياتها البشرية . وفي الواقع يحق للباحث في جغرافية آسيا العربية أن يعجب لهذا التناقض الظاهر بين أجزائها منذ بدء التاريخ اذ بينما رأت أجزاءها الغربية والشمالية الشرقية تلك الحضارات القديمة الراقية التي بعثت النور والتقدم والعرفان الى البيئات المجاورة والتي ازدهرت وأينعت قرون عديدة نجد ان جزءا عظيما من هذه الوحدة الجغرافية لم يكشف عنه النقاب تماما إلا في السنوات الاخيرة رغم الجهود العظيمة التي بذلها المصريون القدماء والآشوريون والبابليون والقرطاجيون والفرس واليونان والرومان والعرب أنفسهم مدى العصور لكشف الاجزاء الغامضة في شبه الجزيرة العربية . ويلوح ان العوامل الجغرافية كان لها أكبر الاثر في هذا التناقض الظاهر وهي التي عرقلت كشف هذه الاجزاء وعطلت تقدمها ونهوضها . وتتلخص هذه العوامل في شكل التضاريس ومظاهر السطح



ونوع الساحل وحالة المناخ والحياة النباتية . وكثيراً ما كانت السواحل لا تشجع على الاقتراب منها نباتاً سواء بسبب ندرة تعاريجها أو ضحولة مياهها وكثرة الشعب المرجانية والصخور التي تجعل ملاحتها خطيرة وعسيرة ، أو بسبب قيام حافة الهضبة حائلاً منيعاً بين الساحل والداخل ، أو بسبب كون الصحراء الرملية أو الصخرية تحف بها فتزيد من قفرها ووحشتها وظلمتها . كذلك وقف المناخ حجباً عثرة وكثيراً ما حال دون الوصول الى بعض أجزائها في الداخل :

والى جميع هذه العوامل الجغرافية مجتمعة يرجع ذلك الاختلاف بين الاجزاء من حيث درجة الحضارة والتقدم إذ بينما نرى مظاهر التقدم واضحة في الاجزاء المعتدلة المناخ الوفيرة الامطار والمياه كما هي الحال في الاقطار المطلة على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقى ، وفي اراضى الجزيرة ، وفي اليمن المرتفعة الموسمية ، نجد في الوقت نفسه ان معظم آسيا العربية وخاصة المناطق المدارية شبه الجافة والصحراوية مازال متأخراً ، ولو ان درجة التأخر تتفاوت من اقليم الى آخر فمثلاً ساكن الجهات الصحراوية والمرتفعات الجافة مازال يعيش تحت رحمة الطبيعة القاسية ومثله مثل أضعف المخلوقات ، أما في مناطق الرعى فقد بدأت علامات الحضارة المتقدمة نسبياً بعد أن أخذ سكانها يرعون قطعانهم ويحترفون الزراعة كلما أمكن ذلك ؛ وبالتالي أخذوا يفتنون من قبضة الطبيعة القاسية . ومثل ذلك القول ينطبق على سكان الصحارى الذين اتخذوا الجمل أداة لقطع الصحراء ونقل المتاجر بين الاجزاء ثم عمروا واستوطنوا الواحات ، واتخذوا منها محطات لخدمة قوافل التجارة في السلم وتيسير هجرات الغزو والفتح كلما دعا الامر الى الاغارة والحرب .

هذا مجمل مقتضب للعوامل الجغرافية الاصلية وأثرها في الاقطار العربية وحياتها بصفة عامة أما العوامل الجغرافية الاخرى الخاصة بتوزيع موارد الثروة المعدنية الطبيعية وكذا النتائج المترتبة على أهمية الموقع الجغرافى ومبلغ ارتباطه بالسياسات الدولية فى السياسة والاقتصاد والتجارة فقد أخذت تبرز وتسيطر حتى عظم شأنها وجل خطرها وأصبحت عماد العناية الظاهرة بشئون هذا القسم من العالم فى الوقت الحاضر .

ويمكن أن نشير الى ان هذا الميدان قد شمله النشاط بعد أن تكشف ثروة الحديثة وأصبح الزيت وتوزيعه واستثماره عاملاً جديداً فى حياة الاقطار العربية وعلاقاتها مع الخارج .

الدكتور محمد عبد المنعم الشرقاوى



## بعض المراجع الهامة

- 1 Dudley Stamp "Asia, an Economic & Regional Geog." London 1929.
- 2 Herbertson & How "Asia, the Oxford Survey of the British Empire Vol. II London 1914.
- 3 Huntington & Visser "Climatic Changes" London 1924.
- 4 Huntington E. "Pulse of Asia" New York 1919.
- 5 " " "Palestine & its Transformation" New York 1922.
- 6 Brooks "Climate through the Ages" London 1926.
- 7 Kendrew "Climate of the Continents" Oxford 1927.
- 8 Austin-Muller "Climatology" London 1931.
- 9 Campbell "Outline of Plant Geography" London 1926.
- 10 Philby "The Heart of Arabia" 2 vols London 1922.
- 11 " " "Arabia of the Wahabis" London 1928.
- 12 " " "The Empty Quarter" London 1933.
- 13 Doughty, M. "Arabia Deserta" London 1921.
- 14 Simon & Stein "Awakening Palestine" London 1923.
- 15 Sloan "Wanderings in the Middle East" London 1924.
- 16 Stoddard, L. "The New World of Islam" London 1935.
- 17 Semple, E. "The Geog. of the Medit. Regions, its Relation to Ancient History." London 1932.
- 18 Erskine "Transjordan" London 1924.
- 19 El Rihani, A. "Aronnd the Coasts of Arabia" London 1930.
- 20 " " "Arabian Peaks & Deserts" London 1930.
- 21 Anstey "The Trade of the Indian Ocean" London 1929.
- 22 Rostovtzeff "A History of the Ancient World" Oxford 1930.
- 23 Childe, G. "New Light in the Most Ancient East" London 1929.
- 24 Publications of the American Geog. Society "Oriental Explorations & Studies" New York 1927.



# شعوب الأقطار العربية الأسيوية

للككتور عباس مصطفى عمار

المدرس بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

## تمهيد في المقياس الجفسي لتقارب الشعوب وتباعدها :

أنار التفكير في تكوين جامعة الدول العربية ضرورة البحث في الأسس التي يمكن أن تقوم عليها دعائم هذه الجامعة ، وكان طبيعياً أن تتناول الدراسة الناحية الجنسية لسكان تلك الدول ، باعتبار أن رابطة الدم كانت دائماً من أقوى الروابط التي تربط بين الأمم المختلفة ، وهي الآن الأساس الذي تقوم عليه فكرة « النظرية العنصرية » وما يرمى إليه دعايتها من تقسيم العالم إلى مجموعات متقاربة أو متباعدة ، بحسب ما يربط بين أفرادها من صلة الجنس وما يجمع بينها من وحدة الأنساب . . . وإذا كنا نحن لا نوافق دعاة « النظرية العنصرية » على كثير مما يدعون إليه ، ولا نراهم يستندون في دعواهم إلى نتائج البحث العلمى المجرد ، فإنا من غير شك لا ننكر أن وحدة الجنس عامل قوى في ربط الأمم وانسجام العناصر ، بشرط أن تتوافر إلى جانبها تلك العوامل الأخرى التي أصبح لها في الظروف العالمية الحالية مكانة كبرى .

ولعل نعت الشعوب التي تسكن الجزيرة العربية - بأوسع معناها - والتي تعيش في العراق وبلاد الشام بأنها شعوب عربية ، مما قد يوحى بالوحدة الجنسية بين سكان هذه الأقطار المختلفة ، وهو اتجاه شائع بين غالبية الكتاب في موضوع الشعوب العربية وما بينها من صلات . . . هذا التفكير - فيما يظهر - قائم أساساً على وحدة اللغة التي يتكلمها سكان هذه الأقطار جميعاً ، كما هو قائم على عامل الجوار بين هذه الشعوب المختلفة ، وعلى ما كان بينها من اتصال دائم واختلاط مستمر ، مما قد يؤدي إلى صهر العناصر المختلفة صهرًا ربما ينتهى إلى ما يشبه الوحدة الجنسية لهذه الشعوب .



وما نحب من جانبنا أن نتعرض الآن لمثل هذا الرأي بنفى أو تأييد انتظاراً لما ينتهى إليه هذا البحث من نتائج ؛ لكن علينا أن نتذكر دائماً أن علماء الأجناس يرفضون الآن رفضاً تاماً اتخاذ العوامل الثقافية ، من لغة ودين وقومية ، أسساً يقوم عليها الربط . أو الفصل بين الأجناس ؛ لأن مثل هذه العوامل مما يمكن فرضه على الأجناس المختلفة ، بحيث تكون هنالك وحدة ثقافية تامة بين أشد الجماعات تباعداً في الجنس ، كما هو الحال في فرض ثقافة إنجليزية على زنوج إفريقية وفرض ثقافة فرنسية على سكان مدغشقر والهند الصينية ، وكما حدث في اتساع دائرة الثقافة التي ارتبطت بانتشار الإسلام وما أدى إليه ذلك من فرض اللغة العربية والديانة الإسلامية على جماعات لا تمت إلى العناصر التي انتشر الإسلام على يديها بصلة جنسية ما . وإذا كنا نلمس أحياناً لوناً من الارتباط بين بعض الطوائف الدينية وصفات جنسية معينة - كما هو الحال في بعض الجماعات التي تدين بغير الإسلام في شمال العراق وبلاد الشام - ، فإن هنالك مسيحيين لا تختلف مميزاتهم الجثمانية عن المسلمين ، وهنالك من المسلمين أنفسهم من لا يمكن التفريق بينهم وبين الأرمن مثلاً . . . وما الدين هنا في الواقع إلا ظاهرة مرتبطة بالحوادث التاريخية التي وقعت في هذا الجزء من القارة الأسيوية في عهود حديثة نسبياً ، ومن ثم كان من الضروري جداً أن نكون حريصين كل الحرص في إعطاء أهمية للمذاهب الدينية والطائفية ونحن نناقش مسائل الأجناس والقوميات .

يرفض علماء الأجناس إذاً عامل الثقافة أساساً للربط . أو التفريق بين الأجناس ، ويؤكدون الآن ضرورة الاعتماد على الصفات الجثمانية في هذا المجال : من شكل الرأس إلى صفات الوجه ، ومن شكل الشعر إلى أبعاد الأطراف ، مع إضافة صفات فسيولوجية وخصائص دموية يضعون لها أسساً مقررّة ؛ بل إن هؤلاء العلماء ليغالون في هذا الاتجاه ، فيخصون صفات جثمانية بالعناية ويعطونها المركز الأول في التمييز بين الأجناس <sup>(١)</sup> ، على

(١) يعطى علماء الأجناس أهمية كبيرة لما يسمونه ( النسبة الرأسية Cephalic Index ) وهي نسبة عرض الرأس إلى طوله محسوبة بالمائة ، فإذا كانت تلك النسبة أقل من ٧٥ كان الرأس طويلاً Dolichocephalic وإذا زادت على ٨٠ قيل إن الرأس عريض أو مستدير Brachycephalic وإن وقعت النسبة بين ٧٥ و ٨٠ فالرأس متوسط ، ويذهب غالبية العلماء إلى أن شكل الرأس أقل المميزات الجثمانية تأثراً بظروف البيئة ، ومن هنا جاءت أهميته كصفة أساسية للتمييز بين الأجناس



حين أنهم يقللون من أهمية صفات جثمانية أخرى كون البشرية وطول القامة ، معتمدين في هذا كله على مدى تأثير الصفة بعوامل البيئة الطبيعية كانت أو اجتماعية ؛ فما دامت الصفة ثابتة لا تتغير تغيراً مأموساً فهي الصفة التي تبرز أهميتها باعتبارها صفة متوارثة تنحدر في السلالات وتنقل من الآباء إلى الأبناء <sup>(١)</sup> . وما دام الأمر كذلك فقد أصبح من الضروري أن نقصد ما استطعنا في استعمال المصطلحات الثقافية في دراسة الأجناس ، مدركين تمام الإدراك ما قد يؤدي إليه التغاضي عن هذه الحقيقة من خلط كبير . فاصطلاح ( كالساميين ) الذي يشيع استعماله في كتابة المؤرخين وكتابة عدد غير قليل من الأنثروبولوجيين ليس له معنى محدود في الدراسة الجنسية ، وما هو في الحقيقة إلا اصطلاح ورثناه عن الكتب الدينية أطلق أصلاً على سلالة ( سام ) الذين ينتشرون فوق مساحة واسعة من الأرض لا يتجانس سكانها تجانساً يمكن أن يبرر وضعهم في وحدة جنسية بالمعنى الدقيق . وكل ما يمكن أن نقوله عنه إنه اصطلاح يميز تلك السلالات التي تتكلم اللغات السامية من الآراميين والسوريانيين و... و... الخ في الشمال ، والآكاديين والبابليين والأشوريين في الشرق ، والعرب في الجنوب ، والفينيقيين والعبرانيين و... و... في الغرب ؛ أو بمعنى آخر سكان ذلك الاقليم الذي تحده مرتفعات طوروس وأرمينيا وإيران والخليج الفارسي والبحر الأحمر ومصر والبحر المتوسط . بكل ما يدخل فيهم من عناصر جنسية متباينة .

وما يقال عن الساميين يقال أيضاً عن العرب ، ذلك الاصطلاح الذي يضل في مدلوله الجنسي أكثر مما يضل استعمال كلمة الساميين في هذا المجال ، لأنه اصطلاح لا يختلط بالتقسيمات اللغوية وحدها ، بل يتعدى هذا إلى التداخل في النواحي الثقافية الأخرى منذ ارتبطت اللغة العربية بالاسلام أو ارتبط الاسلام بها ؛ فمنذ قيام هذا الدين وانتشاره في أوائل

(١) ربما كان من المفيد أن ثبت هنا تعريف الأستاذ ( هوتون Hooton للجنس ) :

“ A race is a great division of mankind, the members of which, though individually varying, are characterized as a group by a certain combination of morphological and metrical features, principally non-adaptive, which have been derived from their common descent ”

راجع :

Ernest Albert Hooton = Up from the Ape, London 1931, P. 397.



القرن السابع للميلاد أخذت عناصر كثيرة لا تمت إلى سكان الجزيرة العربية بأية صلة جنسية تدعى العروبة لنفسها ، وتلمس صلات تربطها في الأنساب بالقبائل العربية عامة والقرشية منها بوجه خاص . . ولم يقتصر هذا الادعاء على تلك الجماعات التي تقرب من سكان بلاد العرب في صفاتها ومميزاتها الجثمانية ، بل إن هنالك عناصر من سكان الملايو ومن السودانيين تجهر بعروبتها وترجع بنفسها في النسب إلى رسول الله ! !

على أننا إذ نرفض اللغة كأساس من أسس التقسيمات الجنسية ، فما معنى هذا أننا ننفي أهميتها في هذه الناحية نفيًا باتًا ، لأن وحدة اللغة قد تكون عاملًا يتداخل في اختيار الأزواج ، على اعتبار أن من الضروري توافر التفاهم والانسجام بين الزوجين ، واللغة واسطة ضرورية في هذا المجال . . ما قصدناه إذاً هو ألا نأخذ في تقسيم الأجناس باللغة وحدها ، دون أن نحسب حساباً لاحتمال فرضها على عناصر أخرى كانت لها لغتها الخاصة وصفاتها المتميزة ؛ وسنضطر كثيراً في سياق البحث إلى استعمال مثل هذه المصطلحات الثقافية ، على أن يكون مفهوماً دائماً أننا لا نعني بها أقساماً جنسية متميزة ، وإنما نقصد الوجهة العامة مسافرين العرف الشائع في كثير من الكتابات ، وسنحاول في دراستنا لشعوب الأقطار العربية الأسيوية أن نوضح بقدر ما نستطيع العناصر المختلفة التي تتداخل في تكوين الجماعات التي وحدت بينها عوامل الثقافة ، مهتمين بالساميين والحاميين والعرب بوجه خاص .

ومن الضروري لتكوين صورة واضحة عن الموجات البشرية التي أثرت في سكان هذه الأقطار العربية المختلفة ، أن نذكر ما يشير إليه علماء المناخ من حدوث تذبذبات مناخية في بعض العهود التاريخية ، نتج عنها تعرض بعض هذه الأقاليم لفترات جفاف ساءت أثناءها الظروف الاقتصادية ، واضطربت خلالها الحالة السياسية ، وتبع هذا كله حركات بدأت من مناطق الجفاف ، وأثرت في الأقاليم المجاورة تأثيراً ملمس جانبه الجنسي في وصول تلك العناصر التي دفعت بها الصحراء العربية إلى مناطق الاستقرار في أراضي الهلال الخصيب . . وحدث مثل هذه الحركات لم يكن ليطالب تغييرات مناخية عنيفة ، إذ أن أقل جفاف في مناخ إقليم كبلاد العرب الذي لا تصيبه إلا كمية محدودة جداً من المطر لا بد وأن ينبض له قلب الجزيرة العربية ، فتنبعث منها هذه الموجات إلى حيث تطيب لها السكنى فيما يجاورها من الأقاليم . على أن هجرات سكان الأقاليم الصحراوية إلى الأراضي الزراعية لا يرتبط دائماً بعامل «الطرد» الذي



أشرنا إليه ، فهناك عامل « الجذب » القائم على التباين بين غنى الأراضي الزراعية وفقير الصحراء ، هذا التباين الذى يغرى سكان البادية بالهجرة إلى مناطق الغنى بالطرق السلمية تارة وبالغنى تارة أخرى .

هذه الموجات فيما يغلب كانت تتخذ طريقها شمالاً شرقياً إلى أرض الجزيرة ، أو شمالاً غربياً إلى بلاد الشام ، وإن كان منها موجات تحركت إلى سهول العراق أولاً ثم عادت فانتقلت كلها أو بعضها إلى بلاد الشام . . . ومثل هذه الموجات لا يمكن حصرها جميعاً ، فيكفى أن نشير إلى تلك الهجرات التى ذهبت إلى بلاد الجزيرة ، وإلى هجرات الكنعانيين والفينيقيين والعبرانيين وغيرهم من الهجرات التى تحركت إلى بلاد الشام ، وهجرات النبط والقبائل الاسماعيلية ، ثم هجرات العرب الجنوبيين الذين اضطروا إلى أن يتحركوا شمالاً ، نتيجة لتهدم (سد مأرب) فيما يروى المؤرخون أو لسوء الحالة الاقتصادية بسبب حدوث فترة من فترات الجفاف فيما يذهب أصحاب نظرية التذبذبات المناخية . . . وأخيراً تأتى الهجرات التى خرجت من شبه الجزيرة العربية مع انتشار الإسلام وتوسع الفتوح الإسلامية، والتى استمرت قرناً طويلاً تغذى الأقطار العربية الإسلامية بعدد من القبائل العربية التى كان لها دون شك أثر ملموس فى سكان بعض هذه الأقطار (١) .

### تأثير الشعوب العربية بالمجموعات الجنسية المحيطة بها :

والآن ، وبعد هذه المقدمات العامة الضرورية، ينبغى أن نحدد مركز شعوب الأقطار العربية الآسيوية من المؤثرات الجنسية المحيطة بها ، نظراً لما لمثل هذه المؤثرات من أهمية فى إعطاء تلك الشعوب الصبغة الجنسية التى تتميز بها ، ولما لها من دخل كبير فى إبراز نواحي الشبه والاختلاف بين العناصر التى تتكون منها هذه الشعوب . . . والملاحظ أن هذا الاقليم يتصل اتصالاً مباشراً

(١) يراجع فى تفاصيل هذه الموجات الكتب الآتية ( على سبيل المثال ) :

A.C. Haddon == The Races of Man, Cambridge 1929, Pp. 96-97.

” ” == Wanderings of People, Cambridge University Press, 1911.

,C.U. Ariens Kappers== An Introduction to the Anthropology of the Near East, Amsterdam 1934, Pp. 47-48.



بقارتي أوروبا وأفريقيا ، ولهذا نجد أن المشاكل الانثولوجية والاثنولوجية له لا يمكن أن تفهم منفصلة عن الدراسة الجنسية لهاتين القارتين بحال من الأحوال . . . لكن هذا ليس معناه إغفال أهمية موقع هذه الأقطار بالنسبة لمجموعات جنسية أخرى ، تقع من جهة الى شمالها ، حيث العناصر الأرمينية التي سنهاها تؤثر في سكان بعض هذه الأقطار تأثيراً محسوساً ، وتقع من جهة أخرى الى شرقها وجنوبها الشرقي ، إذ لا يفصلها عن إيران مثلاً غير الخليج الفارسي وخليج عمان ، ولا يفصلها عن الهند الا البحر العربي ، ولهذا كان لبعض سكان شبه الجزيرة العربية صلات جنسية بهذه المجموعات التي تسكن تلك الأقاليم المجاورة ، تظهر آثارها في شكل الرأس تارة وفي مميزات الشعر ولون البشرة تارة أخرى ؛ ومن هنا ظهرت في سكان تلك الاقطار صفات تربطهم بسكان أوروبا الجنوبية ، وصفات تقرب من صفات العناصر الافريقية التي يجري العرف بتسميتها بالحاميين ، هذا الى جانب مميزات أخرى تذكرنا ببعض مميزات ( الدرافيديين ) وغيرهم من سكان الهند ؛ وفيما يلي أهم المجموعات التي تأثر بها السكان الجنسي لهذه الاقطار :

١ - أما المجموعة الأولى فهي التي يطلق عليها علماء الأجناس اسم « جنس البحر المتوسط » ، أحد الفروع الرئيسية للمجموعة القوقازية أو الأجناس البيضاء ؛ وتتميز هذه المجموعة باستطالة الرأس أو توسطها ، وبالانف الضيق الذي يأخذ غالباً الشكل المستقيم ؛ وقيل البشرة الى السمرة كما تشدد سمرة الشعر مع تموج في شكله ، أما القامة فتوسطة أو دون المتوسطية بقليل . وإذا كانت مناطق توزيع هذه المجموعة أساساً هي حوض البحر المتوسط ، فإن هنالك أذرعاً منها امتدت الى الجنوب وأثرت في الاقاليم الواقعة على جانبي البحر الاحمر ، بل ووصلت - في رأى بعض الكتاب - الى أبعد من هذا جنوباً . . . وليس من شك في أن إحدى الطبقات الأساسية ( ان لم تكن الطبقة الأساسية ) في التكوين الجنسي لسكان الأقطار العربية الأسيوية ترجع الى مجموعة البحر المتوسط هذه ، بل ربما كان من المفيد أن نلفت النظر الى ماسبقت الاشارة اليه من أن الساميين والحاميين اصطلاحات لغوية ، والى أننا اذا أردنا ارجاع المتكلمين الاصليين بهاتين المجموعتين من اللغات الى أصولهم الجنسية فسيتربطون بعناصر البحر المتوسط أساساً ، لكن هذا لا ينفي وجود مميزات تفرق بين مجموعة وأخرى ؛ جاءت نتيجة للمؤثرات التي خضعت لها كل مجموعة في الوسط الذي اتخذته موطناً لها . . . ومن هنا جاء التمييز بينهما



واعتبارهما في رأى بعض الكتاب مجموعتين مستقلةتين ، تغلب أولاها في أفريقيا الشمالية ، وتوزع الاخرى في الجنوب الغربى لقارة آسيا بوجه خاص .

وما يستطيع الباحث في شعوب الأقطار العربية ، التى توضع بوجه عام ضمن ما اصطلاح على تسميته بالمجموعة السامية أن يغفل المؤثرات الحامية التى لا بد وأن تكون بعض جهات شبه الجزيرة قد أصابها منها نصيب غير قليل ، فالجزء الجنوبي الغربى لبلاد العرب بوجه خاص كان دائماً قوى الاتصال بأفريقيا الحامية ، وما كان فى الامكان تبعاً لهذا أن يخلص من نتائج هذا الاتصال ، بل إن من الكتاب من يذهب الى أن المميزات التى أصبح الحاميون يتميزون بها انما اكتسبت فى بعض الجهات الجنوبية للجزيرة العربية <sup>(١)</sup> ، كما يذهب كاتب مثل الاسماذ ( كيث ) الى أن تلك العناصر الحامية كانت فى وقت ما أوسع انتشاراً فى البلاد العربية ، ثم جاءت مؤثرات قوقازية أخرى من الشمال ، دفعتها أمامها وضيق دائرة انتشارها ، ومثلت كثيراً من صفاتها ، ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تقضى عليها قضاء تاماً ، إذ سنرى تلك الصفات الحامية - سيما فى شكل الشعر ولون البشرة ومميزات الوجه - واضحة فى سكان الاقليم الجنوبي ، وضوحاً يصعب معه فى بعض الأحيان التفريق بينهم وبين عناصر من المجموعة الحامية الافريقية كالهاندوده وبنى عامر مثلاً <sup>(٢)</sup> . . . واذا كنا قد رأينا أن التفريق بين الشماليين والجنوبيين من سكان الجزيرة العربية قائم على صفات ربما لا يضعها كثير من علماء الأجناس فى المنزلة الأولى من الأهمية بين أسس التقسيمات الجنسية ، فما ينبغى أن ننسى ما سبقت الإشارة اليه من أن

( ١ ) لا يزال أمر العناصر العربية التى تظهر فيها بعض المؤثرات الحامية وصلاتها بالعناصر التى تظهر فيها نفس المميزات موضوع مناقشة واختلاف بين علماء الأجناس ، وقد حدد ( برترام توماس ) الاحتمالات الممكنة فى هذه الناحية عند ما تساءل عن حقيقة الوضع الجنسى لتلك العناصر التى صادفته فى رحلته بجنوب بلاد العرب :

“ Who and whence are these tribes ? - Indigenous ? Of African origin ? Or have they a common origin with African tribes ? Or are none of these hypotheses tenable ? ”

Bertram Thomas = Arabia Felix, London 1932, P. 302.

( ٢ ) راجع فى الكتاب السابق الصور رقم ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ وقارن بينها وبين صور تمثل العناصر الحامية الافريقية .



الحاميين والساميين مجموعتان فرعيتان من مجموعة جنسية رئيسية هي مجموعة البحر المتوسط لها صفاتها العامة المشتركة.

ولو صح مثل هذا الوضع للتاريخ الجنسي لبلاد العرب لكان سكان الجنوب من الحاميين أقدم ، ولكانت الصبغة السامية التي تسود شبه الجزيرة الآن أحدث نسبياً . والغريب أن ما يذهب اليه مؤرخو العرب ونسابتهم يكاد يكون متفقاً مع هذا الحد كبير ؛ فالعرب العاربة ( عرب الجنوب ) هم في نظرهم العرب الحقيقية الأصليون ، أما العرب المستعربة ( عرب الشمال ) فأقل تأصلاً في العروبة من الجنوبيين .

٢ - وهنالك المجموعة الأرمنية ، إحدى فروع المجموعة القوقازية أيضاً ، وهذه عناصر تتميز بوجه عام بالرأس العريض الذي يتبطط فيه الفزال ( مؤخرة الرأس ) ، كما تتميز بالأنف المرتفع البارز الذي يتحدب في شكله فيأخذ مظهراً خاصاً صبغ العناصر الأرمنية بميزة أنفية معروفة . ولكنها مميزة يشترك مع الأرمن فيها عناصر أخرى من الجماعات التي تتكلم اللغات السامية . والواقع أنه ليس هنالك أساس يمكن أن نعتمد عليه في التفريق بين الأنف الأرمني وأنوف تلك الجماعات الأخرى ، إذ أن بروز الأنف وتحدبه صفتان شائعتان بين العرب لا يربطهما بعض الكتاب - كما يربطون ظاهرة استدارة الرأس - بمؤثرات أرمنية ، وإنما ينظرون اليهما كأنهما صفتان أصليتان ، ظهرتا مستقلةتين في العرب كما ظهرتا في غيرهم من السلالات الجنسية التي تسكن الجنوب الغربي من قارة آسيا .

هذه المجموعة الأرمنية ، توزع غالباً في الاقليم الجبلي الذي يطوق الأقطار العربية الأسيوية من الشمال ، لكن لم تسلم تلك الأقطار نفسها من الأثر الأرمني الذي يبدو بارزاً في كثير من الجماع القديمة التي عثر عليها الأركيولوجيون في أرض الجزيرة وبلاد الشام . وهذا أمر طبيعي جداً إذا أخذنا في الحسبان العوامل الجغرافية الملائسة ، وتذكرنا التباين في الثروة بين أراضي الهلال الخصيب في غناها ووفرة إنتاجها ، وبين النطاق الجبلي الذي يطوقها من الشمال في جده وقفره . مثل هذا التباين كان من شأنه أن يغري العناصر الأرمنية الجبلية بالهبوط الى تلك الاقاليم السهلة الغنية ، كما كان يغري سكان الصحراء في فترات الجذب والجفاف ، حتى كاد التاريخ القديم لأراضي الهلال الخصيب يكون صراعاً مستمراً على السيادة بين سكان البلاد وغيرهم وكان لابد من أن تترك هذه الظاهرة أثراً واضحاً للمميزات الأرمنية في سكان أراضي هذا



الهلل ، ولما كانت امبراطورية كامبراطورية الحثيين مثلاً قد قامت على أكتاف العناصر الأرمنية ونشأت أصلاً في أراضيهم الجبلية ، ثم بسطت نفوذها ونشرت سلطاتها جنوباً ، فإن أثر العناصر الأرمنية إنما كان بارزاً في الجهات الشمالية من الأقطار العربية الأسيوية ، يأخذ في الضعف كلما تحركنا ناحية الجنوب .

ولا شك في أن مرجع هذا إنما كان الى حكم الجوار أولاً ، للملاصقة شمال الأقطار العربية الأسيوية لموطن العناصر الأرمنية وما يؤدي اليه هذا التلاصق من تسرب هذه العناصر الأرمنية بين سكان أراضي الهلال الخصيب ، تسرباً يضاعف أثره كلما بعدنا عن موطن هذه العناصر بطبيعة الحال . وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأن المنطقة الصحراوية المجدبة الى الجنوب لم تكن لتغري سكان الجبال بالانتقال إليها ، بل إنها أكثر من ذلك كانت تنبض في فترات الجفاف فتبعث هي بموجات متعددة الى الشمال ، كانت تضطر العناصر الأرمنية الى الانزواء في مناطق العزلة والتطرف ، في جبال الأقطار العربية أو في أركانها ، وهي بهذا تضيق الدائرة التي وصل اليها الأثر الأرمني ، وتوسع دائرة الأراضي التي تأثرت بالموجات السامية ، التي بدأت من مكان ما بالجزيرة العربية ، وأخذت طرقاً مختلفة إلى أراضي دجلة والفرات وبلاد الشام . على أننا وإن ضيقنا الدائرة التي وصل اليها الأثر الأرمني ، فما ينفي هذا أن توزيع الرؤوس العريضة قد تجاوز مناطق الشمال ووصل الى الأطراف الجنوبية للجزيرة العربية ، سواء في عمان وما يجاورها غرباً ، أو اليمن وما يتصل بها من أراضي حضرموت . . . وإذا كان من الصعب أن نقطع باستحالة إمكان حدوث ظاهرة استدارة الرؤوس متطورة تطوراً محلياً مستقلاً ، فالراجح أن هذه الظاهرة قد حدثت نتيجة حركة لأصحاب الرؤوس العريضة ، خرجت من منطقة توزيعهم في الشمال ، واتجهت الى الجنوب . . . ولقد أثبتت دراسة المقاييس التي أخذت على الرؤوس العريضة في المناطق المختلفة في جنوب بلاد العرب أن هنالك أثراً أرمنياً ، مؤكداً في إقليم عمان ، لكن صلة الرؤوس العريضة في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة بالمؤثرات الأرمنية أمر لا يمكن القطع به تماماً الآن .<sup>(١)</sup>

(١) راجع هذه المقاسات مفصلة في دراسة الأستاذ (كيث) وزميله « للمميزات الجنسية للعرب الجنوبيين » في الجزء الملحق بكتاب ( برترام ثوماس ) الذي سبقت الإشارة اليه من صفحة ( ٣٠١ إلى صفحة ٣٣٣ ) .



والظاهر أن هذه العناصر الأرمينية قد أخذت طريقها الى الأطراف الجنوبية عبر سهول دجلة والفرات ، ثم بمجاء الخليج الفارسي الى اقليم عمان ، باعتبار أن هذا الطريق أسهل بكثير من أن تأخذ تلك العناصر طريقها قاطعة الجزيرة العربية في وسطها من الشمال الى الجنوب ، سيما وأنها لم تترك آثارا جنسية على طول هذا الطريق يمكن أن يعتمد عليها في ترجيح هذا الرأي على الرأي الاول<sup>(١)</sup> . . . . . والكتاب يربطون اندفاع هذه الموجات الأرمينية الى الجنوب بفترات كانت الجزيرة العربية فيها أكثر مطرا وأغنى نباتا ، وإذا فقد كان فيها ما يغري سكان الجبال في الشمال بأن يتحركوا جنوبا . . . . . لكن فترات الجفاف التي تبعت هذا أوقفت استمرار هذه الموجات الأرمينية الى الأطراف الجنوبية لشبه الجزيرة ، من جهة لأنه لم يعد هنالك ما يغري هذه العناصر الأرمينية بالهجرة ، ومن جهة أخرى لأن الاضطراب الاقتصادي الذي تبع حالة الجفاف هذه قد دفع الى الشمال بموجات من قلب الجزيرة العربية ، كانت في حد ذاتها عاملا لم يمكن الهجرات الأرمينية من أن تستمر في حركتها الى الجنوب .

ويهمنا - قبل الكلام على باقي العناصر التي تدخل في تكوين شعوب الأقطار العربية الآسيوية - أن نشير الى أن عنصر البحر المتوسط والعنصر الأرميني هما في الواقع العنصران الأساسيان في السكان الجنسي لهذه الشعوب ، وإن اختلفت الأهمية النسبية لكل منهما من منطقة الى أخرى . . . . . وهذان العنصران إن وجدا في حالة نقية أحيانا فكثيرا ما يبدو الاختلاط بينهما قويا ، مع التفاوت في درجة الاختلاط بحسب ما يوحى به الموقع الجغرافي من جهة والعوامل التاريخية من جهة أخرى . . . . . ويرجع علماء الأجناس ما يعثر عليه الأركيولوجيون في غرب آسيا من جماجم قديمة الى أحد هذين العنصرين ، ولو أن الخلاف لا يزال قائما بين هؤلاء العلماء على ترجيح أسبقية عنصر منهما في سكنى هذه الأقاليم على العنصر الآخر: فمنهم من

(١) لاينفى الأستاذ (بكستون) أن في الامكان أن يكون طريق العناصر عريضة الروس الى جنوب بلاد العرب قد سار قاطعاً أراضي الجزيرة ومتبعاً ساحل الخليج الفارسي ، ولكنه مع ذلك يذهب الى أننا ما دمنا قد رأينا هذه العناصر في الأزمنة القديمة تضغط على مصر وشمال إفريقيا فليس هنالك ما يمنع من أن تكون قد ضغطت كذلك على شمال بلاد العرب ، وقطعت الجزيرة العربية من الشمال إلى الجنوب ، حتى ولو لم نلحس في عرب كالثماليين أثرا لصفات هذه

العناصر . راجع . L. H. Dudley Buxton = The Peoples of Asia, London 1935. p. 106.



يذهب الى أن العناصر الأرمنية هي العناصر القديمة ، أما عناصر البحر المتوسط فقد وصلت متأخرة نسبيا واختلطت بمرور الزمن بالأرمنيين وعدلت في بعض صفاتهم .. فإذا صحت هذه النظرية ، فلا شك في أن هذه العملية قد تمت في أزمان بعيدة جدا ، إذ أن العنصرين — فيما يظهر — كانا ممثلين بوضوح في كثير من أجزاء الأناضول في العصر البرونزي ، كما أن أقدم الهجرات التي اكتشفت في قبرص كانت لأناس يرجحون بالآ كيد الى هذه السلالات الخلطة المكونة من عناصر البحر المتوسط ومن العناصر الأرمنية ، وكذلك يمثل العنصران في منطقة ( كرش ) بالعراق منذ أقدم العصور .. على أنه اذا كان لمثل هذا الجدل أساس فيما يختص بدراسة التاريخ الجنسي لبلاد الأناضول ، فالأدلة التي بين أيدينا تجعلنا نميل الى ترجيح أقدمية عناصر البحر المتوسط في سكنى معظم الجهات الأخرى في غرب آسيا .. وأيا كانت أهمية الموجات التي وصلت الى هذه الأقطار في الفترات التي تلت فجر تاريخ كيانها الجنسي ، فالظاهر أن السكان القدماء في أساسهم لم يكونوا مختلفين اختلافا جوهريا في مميزاتهم الجنسية عن السكان الحاليين لهذه الأقطار .

٣ - ثم يبقى أن نشير الى منطقة العناصر الزنجية في الجنوب ، لنبين مدى تأثيرها من الناحية الجنسية في شعوب الأقطار العربية الآسيوية المجاورة لها .. إن الزوج موزعون الآن توزيعا عاما في النصف الجنوبي لأفريقية وفي الاطراف الجنوبية الشرقية لآسيا ، لكن يظهر أن هاتين المنطقتين كانتا متصلتين في العصور القديمة ، إذ كان إقليم الزوج يكون شبه نطاق بطون في المحيط الهندي من الشمال ، وكانت سواحل بلاد العرب الجنوبية والجنوبية الشرقية تدخل قديما ضمن هذه المنطقة .. ثم كان أن امتدت أذرع جنسية مختلفة من الشمال ، فقطعت استمرار اتصال الاقليم الزنجي وأحلت محل العناصر الزنجية القديمة عناصر أخرى ، ففي الشرق مثلا انتشرت السلالات المغولية ، وأجالت الزوج عن بعض مناطق سكنهم ، واختلطوا بهم في بعض الجهات ، وفي الغرب امتدت أذرع من السلالات القوقازية ، فانتشرت عناصر البحر المتوسط جنوبا ، ووصلت المؤثرات الأرمنية الى ساحل الخليج الفارسي ، كما سبقنا الإشارة .

لكن لا ينبغي أن يفهم من هذا أن الانتشار الزنجي القديم لم يترك له أثرا في الأطراف الجنوبية للجزيرة العربية ، إذ أن الدراسة الجنسية العميقة للسكان الحاليين في تلك المناطق قد أثبتت وجود مؤثرات لهذا الانتشار القديم ، لا تزال واضحة وضوحا يمكن أن يربطها



بالجماعات المتأثرة بالزنج خارج البلاد العربية . وما يقف وصول المؤثرات الزنجية عند حد الأقاليم الجنوبية باعتبارها أقرب أجزاء شبه الجزيرة الى مواطن تلك المؤثرات ، بل يتعداها الى الشمال تاركاً أثراً لا يمكن إغفاله في الجماعات العربية الشمالية ، حتى لنجد في أشد تلك المجموعات نقاوة بعض تلك المميزات الزنجية ، وان كانت بالطبع مخففة الى حد كبير .<sup>(١)</sup>

على أن الأثر الزنجي في جنوب الجزيرة العربية ( وفي بعض جهاتها الوسطى والشمالية ) لا يقتصر على ما تركته تلك البقايا للانتشار الزنجي القديم ، بل ان صلات هذا الجزء من البلاد العربية بأفريقية الزنجية كان اتصالاً وثيقاً في العصور التاريخية المتأخرة ، سواء عن طريق تجارة الرقيق التي كانت تلقي سوقاً رائجة في البلاد العربية ، أو عن طريق الاتصال المستمر بين تجار العرب وسكان شرقي أفريقية بوجه خاص .

هذه هي أهم المؤثرات الجنسية التي يمكن أن يفهم على ضوءها التكوين الجنسي للشعوب العربية الآسيوية ، لكن لامناص من أن نشير الى مؤثرات أخرى تأتي في الدرجة الثانية من الأهمية ، كي نستكمل بهذا الحقائق المتصلة بدراسة الكيان الجنسي لتلك الشعوب .

١ - أما في الشمال فتوجد جيوب جنسية تشذ عن العناصر الأرمينية التي تجاورها شذوذاً واضحاً ، من حيث شكل الرأس ، ومن حيث وضوح الشقرة في لون البشرة ، والاصفرار في لون الشعر ، والزرقة في لون العين . هذه هي جماعات الأكراد ، وهي فيما يظهر أثر لموجة ترتبط بالأصول التي يرجع اليها السلالات الشمالية ( النوردية ) ، تلك الأصول التي لا يبعد أنها خرجت من منطقة ليست بعيدة عن الأقطار التي ندرسها ، والتي يغاب أن تكون إحدى موجاتها قد

(١) يشير الأستاذ ( كيث ) في دراسته لمجموعة الصور الملحقه بكتاب ( هنرى فيلد ) عن سكان العراق الأوسط الى ان بعض هذه الصور يبدى ملامح زنجية واضحة ثم يعلق على هذا بما يأتي :

“ Among these Negroid features which may be counted normal in Arabs are the full, rather verted lips, shortness and width of nose, certain blanks in the bearded areas of the face . . . , large, luscious, gazelle-like eyes, a dark brown complexion and a tendency for the hair to grow in ringlets. Often the features of the more Negroid Arabs are derivatives of Dravidian India rather than inheritances of Hamitic Africa. Although the Arab of today is sharply differentiated from the Negro of Africa, yet there must have been a time when both were represented by a single ancestral stock; in no other way can the prevalence of certain Negroid features be accounted for in the natives of Arabia.

راجع مقدمة كتاب : Henry Field = Arabs of Central Iraq, Chicago 1935, P. 14.



اتجهت الى الجنوب والغرب ، على حين أن غالبية موجاتها الأخرى كان اتجاهها الى الشمال ، ومن المحتمل أن يكون الـ (Kardouchoi) والـ (Gordyaens) الذين وردت الإشارة اليهم في كتابة المؤرخين القدماء ، هم الأجداد المباشرين للأكراد الحاليين ، وإن كنا لا نعرف على وجه التحقيق متى وصلت القبائل الكردية الى مواطنها التي تسكنها الآن . . . ومهما يكن من أمر تاريخ الأكراد القديم وهجراتهم الأولى ، فهم يتركزون حالياً في إقليم كردستان الذي يقع جزء منه في دائرة الأقطار العربية الآسيوية .

على أن وجود هذه المجموعة الجنسية الشاذة وسط غالبية من العناصر الجنسية التي تختلف عنها تماماً في مميزاتها الجثمانية ، كان من شأنه أن يجعلها تتأثر بتلك العناصر الغالبة ، وكان لابد من أن يؤدي هذا الى تعديل في صفاتها ، ومن هنا تميز سكان كردستان بالاختلافات الجثمانية المحلية نتيجة لاختلاف العناصر التي تحتك بهم ، مع التسليم بوجود شيء من التجانس يربط بين سكان كردستان جميعاً : فقد احتفظ الأكراد في مجموعهم بالقامة الطويلة والرؤوس الطويلة ، مع ميل الى الاستدارة حيث يوجد اختلاط بالأرمن والآتراك ، وحيث استقر وا في شمال أرض الجزيرة فتأثروا بالعناصر العريضة الرؤوس التي تسكن الجزء الشمالي من العراق . . . لكن الغريب أن صفات الوجه عند الأكراد - من حيث وضوح الارتفاع والضييق فيه - لم تعدل تعديلاً يذكر ، رغم الاختلاط بعناصر تميز باتساع الوجه وقصره ، أي أن صفات الوجه أكثر ثباتاً منميزات الرأس في هذه المجموعة بالذات .

ب - هذا في الشمال ، أما في الجنوب فلا بد لنا من أن نتذكر أن الشعوب العربية التي تسكن الجهات الساحلية كانت دائماً شعوباً بحرية ، تجلوزت في علاقاتها التجارية سواحل افريقية ، ووصلت الى اقليم الملايو وجزائر الهند الشرقية ، حيث كان للعرب جاليات ليست صغيرة في كثير من المدن ، انتشرت عن طريقها الثقافة الاسلامية بين سكان هذه الجهات ؛ لكن أثر هذه الجاليات العربية في سكان الملايو كان أثراً معدوماً تقريباً من الناحية الجنسية ، نظراً لصغر هذه الجاليات وقلة عددها بالقياس الى المجموعة الجنسية الغالبة في تلك الأقاليم . . . وعلى خلاف هذا كان أثر سكان الملايو في تلك الجاليات العربية ضئيلاً في الناحية الثقافية ، قوياً في الصفات الجثمانية ، فقد تزوج كثير من العرب بنساء من أهل الملايو اصطحبوهن وأولادهن الى بلاد العرب عند عودتهم اليها ، فتكون عن هذا الطريق لون من التهجين ، أظهر بعض الصفات



المغولية معدلة في سكان بعض الجهات الساحلية الجنوبية للبلاد العربية .. وعلى حين أنه قد ظلت العناصر الأفريقية في جنوب بلاد العرب متميزة، لا تتسرب دماؤها الى العرب تسربا يقبله المجتمع بسهولة ويقره ، تسربت دماء عناصر الملايو ووضح أثرها في جهات كثيرة في إقاييم الساحل الجنوبي ، سيما في الطبقات الأرستقراطية وفي سكان وادي حضرموت بوجه خاص .

هذه صورة سريعة لأهم العناصر التي تدخل في التكوين الجنسي للشعوب العربية الآسيوية ، يتضح منها امتداد أثر عناصر البحر المتوسط امتداداً لا يصل اليه أثر العناصر الباقية ، وإن استحال علينا أن ننفي أهمية المؤثرات الجنسية الأخرى ، سيما المؤثرات الأرمنية التي صمدت أمام الموجات المختلفة ، وظلت محتفظة بشخصيتها الجنسية و ببعض مميزاتها الثقافية ، وبذلك طبعت بطابع تميز به في المحيط الجنسي الذي تقع فيه الآن . وعلى ضوء هذه الصورة السريعة يمكننا أن نقسم شعوب البلاد العربية الآسيوية تقسيماً عاماً إلى ثلاث مجموعات :

الأولى . تمتاز بالبساطة في تكوينها الجنسي، تسكن أراضي نجد ، ومناطق الصحارى في بلاد العرب ، وامتداد هذا الإقليم الصحراوي شمالاً بين أرض الجزيرة وبلاد الشام . هذه المجموعة احتفظت بحكم الظروف الجغرافية المحيطة بها بكثير من صفات سلالات البحر المتوسط التي أشرنا إليها ، دون أن يصل إليها تأثير قوى ، لامن العناصر الأرمنية وغيرها من الشمال ، ولا من المؤثرات الجنوبية ، اللهم إلا بعض مؤثرات زنجية مخففة وصلتها عن طريق الرقيق الذين يملكهم الأثرياء من العرب ، وهى مؤثرات بسيطة محدودة يمكن ألا يهتم بها كثيراً .

الثانية . مجموعة يشتد تعقدها الجنسي ، إذ يتداخل في تكوينها عناصر جنسية متعددة ، نتيجة لموقعها بالنسبة للمجموعات الجنسية المحيطة بها . وهذه المجموعة ، أو المجموعات ، توزع على هوامش الأقطار العربية الآسيوية ، يدخل فيها كثير من سكان لبنان وشمال العراق من ناحية ، كما يدخل فيها كثير من سكان اليمن والامارات التي تقع في الجنوب والجنوب الشرقي من ناحية أخرى . لكن طبيعة التعقد تختلف بعض الاختلاف في الشمال عنها في الجنوب ؛ ذلك لأن الصراع الجنسي في الشمال كان بين عناصر تسكاد تكون متكافئة ، ومن هنا لم تستطع عناصر البحر المتوسط مثلاً ( وقد رأيناها غالبية في المناطق الشمالية ) أن تقضى على شخصية عناصر كالعناصر الأرمنية ، بل كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تدفعها دفعاً يضيق مناطق انتشارها ، لكنها مع ذلك حافظت على طابعها الجنسي في تلك الأقاليم التي ظلت تسكنها إلى



الآن ، بل إن أمر محافظتها على طابعها الخاص قد تجاوز المميزات الجثمانية إلى بعض خصائص الثقافة ، فعلى الرغم من أن اللغة العربية ( كفرع من فروع اللغات السامية ) قد فرضت على كل سكان تلك الأقطار تقريباً بنص النظر عن اختلافاتهم الجثمانية ، فإن الدين الاسلامي لم ينجح هذا النجاح الذي نجحته اللغة العربية في انتشارها ، إذ استطاعت طوائف كثيرة أن تحتفظ بعقائدها الدينية كاملة أو معدلة بعض التعديل ، وأصبح من الظواهر البارزة وجود شبه ارتباط بين أصحاب الروس العريضة ( المنتمين الى الجماعات الأرمنية ) وبين الطوائف غير الاسلامية سواء في العراق أو في لبنان .

هذا في الشمال ، أما في الجنوب فالحال يختلف عن هذا اختلافاً واضحاً ، إذ أننا هنا أمام عناصر كثيرة مختلطة ، لكن ليس فيها ما يمثل قوة العناصر الأرمنية في الشمال ، ولهذا نجد أثر البحر المتوسط بارزاً لا يضعف إلا حيث تفضل سلالات هذا الجنس أن تترك المجال للعناصر الأخرى ، عند ما تقل صلاحية المنطقة للسكنى ، كما هو الحال في انتشار عناصر البحر المتوسط بسكنى إقليم الهضبة في اليمن ، تاركة إقليم السهل الساحلي بحارته ورطوبته لسكنى الجماعات الأخرى .

الثالثة : مجموعة تسكن مناطق الانتقال بين المجموعتين ، الأولى والثانية ، واضحة تمام الوضوح عند ما تنتقل من إقليم الصحارى متحركين شمالاً ناحية سهول أراضى الهلال الخصيب ، فالجماعات التي تسكن على حافة الصحراء - سواء في العراق أو في سوريا - تتمتع فيها المميزات الأرمنية وصفات عناصر البحر المتوسط لحد كبير ، فالروس متوسطة ثقل فيها الروس الشديدة الاستدارة ، والأنوف تتمتع بعض التعديل ، وكذلك الحال في بعض المميزات الأخرى لكن هذا لا ينفى وجود بعض عناصر من سكان هذه المنطقة الانتقالية يمكن أن تربطها بسهولة بمجموعة البحر المتوسط أو المجموعة الأرمنية ، لأن الاختلاط بين الجماعات الجنسية المختلفة لا يؤدي حتماً إلى وجود عناصر تتوسط في تكوينها الجنسى بين تلك الجماعات .

### الوضع الجنسى لشعوب الأقطار العربية المختلفة

والآن وقد مهدنا الأذهان بما فيه الكفاية لفهم التكوين الجنسى لكل وحدة من وحدات الشعوب العربية الأسيوية ، يمكن أن ندخل في تفاصيل الدراسة الجنسية لمختلف هذه الأقطار .



## أولاً - العراق :

إن سكان العراق الأصليين يمكن أن نربطهم - من حيث صفاتهم الجثمانية - بالعناصر الطويلة الروس التي كانت تسكن مصر فيما قبل الأسرات ، أى أن العنصر الذى كان سائداً في الزمن القديم هو من سلالات البحر المتوسط ، تسربت اليه - في المناطق الشمالية خاصة - مؤثرات أرمنية ، وكانت تغذيه دائماً هجرات من الصحراء العربية لا تختلف في صفاتها الجنسية الأساسية عن سكان أرض الجزيرة الأصليين .<sup>(١)</sup> لهذا يمكن أن نقرر إجمالاً أن سكان العراق الحاليين في جملتهم لا يختلفون اختلافاً جوهرياً عن سكانه القدماء ، إذ أنه بعد أن أخذ الاقليم طابعه الجنسي ، لم تغير الموجات الحديثة التي وصلت إلى أجزائه المختلفة المميزات الجثمانية للسكان تغييراً يذكر ، من جهة لأن العناصر التي أتت بها هذه الموجات لم يكن معظمها يختلف في كيانه الجنسي عن العناصر القديمة التي اختلطت بها ، ومن جهة أخرى لأنها بعد الاستقرار الجنسي للعراق لم تكن من السكثرة العددية بحيث تستطيع أن تفرض مميزاتها الجثمانية على السكان الأصليين ، بل على العكس من ذلك استطاعت العناصر الأصلية أن تمثلها وتمضمها ، وإن كان هذا لم يمنع من أن تظل بعض تلك الجماعات محتفظة بشخصيتها الجنسية كما أثبت هذا الأستاذ

(١) ان البقايا البشرية التي وجدت بها بعثة جامعة اكسفورد بالاشتراك مع Field Museum بشيكاغو ترجع غالبية الجماجم فيها الى سلالة البحر المتوسط ، وهى جماجم تنخفض النسبة الرأسية فيها إلى أقل من ٧٠ في معظم الاحيان ، على أن هذا لم يمنع من وجود عنصر ثان يرتبط بالعناصر الأرمنية في المقابر التي اكتشفت حول (كش) في العراق الأوسط . هذان العنصران فيما يظهر كانا يعيشان جنباً الى جنب في العهد الذي ترجع اليه هذه الجماجم ، والذي يحتمل أن يكون معاصراً لاوائل عهد الأسرات في مصر فيما يرى (لانيجن) . والخلاف كبير بين العلماء على أصل السومريين ، منهم من يربطهم بعناصر البحر المتوسط ، ومنهم من يربطهم بعناصر أرمنية ، وفريق ثالث يذهب الى أن السومريين اسم لوحدة حضارية أكثر مما هو اسم لوحدة جنسية . راجع كتاب الأستاذ (بكستون) عن شعوب آسيا الذي سبقت الإشارة اليه من صفحة ١٠١ الى صفحة ١٠٤ .



( هنرى فيلد ) فى دراسته لبعض القبائل العربية التى تنزل الآن فى أرض الجزيرة بين دجلة والفرات .

على أن ذلك لاينفى بالطبع وجود فوارق إقليمية بين سكان العراق يمكن أن تفهم على ضوء موقع أجزاء العراق المختلفة بالنسبة لمواطن العناصر الأرمنية ، ومدى ما وصل إليه أثر هذه العناصر فى انتشارها ناحية الجنوب ، وفى الامكان أن تقسم العراق على هذا الأساس إلى إقليمين جنسيين متميزين :

١ - الاقليم الشمالى : الذى تأثر بالعناصر الأرمنية تأثراً واضحاً ، تلك العناصر التى تبرز صفاتها بشكل ملموس بين الآشوريين ( الآشوريين ) الذين يسكنون فى شمال العراق ، والذين يقربون من الأرمن فى شكل الرأس وفى كثير من الصفات الجثمانية الأخرى . هذا من الناحية الجنسية ، أما من الناحية اللغوية فالآشوريون شعب سامى ، وإن كان الآشوريون القدماء أبعد ما يكونون عن الشكل المثالى للساميين كما نعرفه فى بدو الصحراء مثلاً ، إذ هم يقربون من صفات الأرمن لحد كبير ، لكن على حين أن الأرمن قد ظلوا يتكلمون لغة غير سامية ، فرضت اللغة السامية على الآشوريين ( الآشوريين ) فرضاً ، بغض النظر عن الصفات الجنسية لهذه الجماعات .

ولقد أثبتت دراسة الأستاذ ( كابرز ) وجود شبه فى الصفات الجثمانية بين عرب الموصل المسيحيين وبين الأرمن ، يشبه الصلات التى تربط بين الأرمن والآشوريين ، يبدو واضحاً جداً فى مقارنة مميزات الرأس والنسبة الرأسية بين الأرمن وهؤلاء العرب المسيحيين . وإذا قسمية هذه العناصر عرباً ، إنما هى تسمية تقوم على أساس من اللغة التى يمكن أن تكون قد فرضت على هذه العناصر كما فرضت على غيرها دون اتفاق فى المميزات الجنسية . . . وربما كان مرجع هذا الارتباط فى الصفات الجثمانية بين عرب الموصل المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وبين العناصر الآشورية السكلدانية ، إنما هو الى العامل الدينى الذى يلعب دوراً كبيراً فى اختيار الأزواج بين الشعوب الاسلامية ، إذ أن التزاوج بين هؤلاء المسيحيين فى الموصل وبين المسلمين ممتنع ، على حين أنه لا تقوم هنالك صعوبة فى زواج هؤلاء المسيحيين بغيرهم من أهل الطوائف الدينية الأخرى .



٢ - الاقليم الأوسط والجنوبي <sup>(١)</sup> الذى يسوده شئ كثير من الانسجام الجنىسى ، والذى يقل الأثر الأرمنى فيه قلة واضحة ، وإذ أفهدا الاقليم الثانى هو الذى يقرب سكانه من سكان الاقليم الصحراوى المجاور له ، وان لم يصل فى النقاوة الى ما يصل اليه هذا الاقليم الأخير ، لأن هذه الأراضي السهلة من أراضي الجزيرة كانت باستمرار مناطق يطمع فيها سكان المناطق الجبلية التى تقع فى الشمال ، ولذلك لانعدم فى الوسط والجنوب وجود مجموعة قليلة من أصحاب الرءوس العريضة ، كما نلاحظ أن القامة فى جملتها أطول بين سكان العراق منها بين البدو من سكان الصحراء ، وهى بين سكان وسط العراق أقصر نسبياً منها بين سكان الجبال فى الشمال . <sup>(٢)</sup>

ولابد لنا ونحن بصدد الكلام على العناصر الجنسية لشعب العراق من أن نشير الى جماعات الأكراد ، الذين لا يقتصر توزيعهم على العراق وإنما يتجاوزهم الى تركيا وسوريا وإيران . . . ولقد سبقت الإشارة الى أن هؤلاء الأكراد يختلفون فى شكل الرأس وفى كثير من المميزات الجنسية الأخرى عن الجماعات التى تحيط بهم ، وإن لم يسموا بالطبع من أن يتأثروا بها لحد محدود ، مع ملاحظة أن تأثير الأكراد فى العراق بالعناصر التى يعيشون بينها هو من الضالة بحيث يمكن إغفاله إغفالاً تاماً ، والمرجح أن عناصر الأكراد الفاتحة البشرة قد أتت من الشمال ، فى موجات كان لها تأثيرها فى الجنوب الغربى من قارة آسيا ، وقد استطاعت أن تحتفظ - الى جانب احتفاظها بمميزات الجثمانية - بطابعها الثقافى ، إذ أن الأكراد لا يتكلمون لغة سامية بل إن لغتهم لغة آرية تنقسم الى عدة لهجات .

(١) يدرس أهل الكويت من الناحية الجنسية مرتبطين بسكان جنوب العراق أكثر من ارتباطهم بحيرانهم من سكان الاقطار العربية الأخرى ، ويخلص الأستاذ ( كرن ) الفروق بين الكويتيين وبين سكان هضبة اليمن - الذين سترهم يمثلون سلالات نقية لحد ما من سلالات البحر المتوسط - تلخيصاً نكفى منه بالنقطتين الآتيتين : الأولى أن الرءوس وان اتفقت فى صغر الحجم فإنها بين الكويتيين أقصر وأعرض منها بين اليمنيين ، ولهذا ترتفع النسبة الرأسية بينهم . والثانية أن الشـعر فيهم أكثر استقامة والبشرة أغنى والأنف أضخم . راجع كتاب :

Carleton Stevens Coon = The Races of Europe, New York 1939, P. 413.

( ٢ ) راجع المقارنات فى مقدمة كتاب الأستاذ ( هنرى فيلد ) عن عرب العراق الأوسط من ص ٢٥ الى ص ٣٧ .



## ثانياً - سوريا ولبنان :

إن الدراسة التفصيلية لسكان هذه المنطقة تؤيد تماماً ما أشرنا إليه من مقدمات ، فنحن أمام فوارق أساسية بين الجماعات التي تسكن جهات سوريا العظمى المختلفة ، بحيث يمكن أن نميز فيها ثلاثة أقسام جنسية فرعية :

١ - سكان الجبال ، ويدخل فيهم (العلويون) و ( المتاولة ) و ( سكان البقاع ) ، وهؤلاء جميعاً يرتبطون ارتباطاً واضحاً بالجماعات العريضة الرؤوس . والملاحظ في الجماعات التي تسكن الجبال أن أكثرها تطرفاً في استعراض الرأس هي جماعات المتاولة ، وأن سكان البقاع ووسط من الناحية الجنسية - كما هم وسط من ناحية الموقع الجغرافي - بين المتاولة في الجنوب والعلويين في الشمال .<sup>(١)</sup>

٢ - بدو الصحراء السورية من الموالى و (العقيدات) و (الرؤاة) ، وهؤلاء جميعاً يمكن ربطهم بسلالات البحر المتوسط بصفاتها المعروفة . . . وإذا كنا قد وضعنا كل الجماعات التي تسكن الصحراء في مجموعة جنسية واحدة ، فما ينفي هذا وجود بعض الفوارق في المميزات الجماعية التي تتصف بها ، فالدراسة الأنثروپولوجية المفصلة لهذه الجماعات الصحراوية تبرز اختلافات بين الموالى والعقيدات من جهة ، وبين الرؤلة من جهة أخرى ، إذ أن الرؤلة أكثر استطالة في الرأس ، وأشد ضيقاً في الوجه ، كما تقصر القامة بينهم عن قامة الموالى والعقيدات . ، لكن الفوارق الجنسية بين هذه الجماعات أقل بكثير من الفوارق التي بينها كمجموعة وبين الجماعات الأخرى التي تسكن الجبال وحافة الصحراء .

(١) يشير الدكتور ( شانكلن ) - الذي قام بأبحاث أنثروپولوجية كثيرة على الجماعات المختلفة التي تسكن الشام - إلى أن الجماعات عريضة الرؤوس لا يمكن إرجاعها إلى العناصر الأرمنية بالوصف التقليدي المعروف ، وينصح بضرورة التريث إلى أن تتم الدراسة التفصيلية ، ليتمكن على أساسها تحديد الوضع الصحيح لهذه الجماعات بين الجماعات الأخرى عريضة الرؤوس :

These brachycephals cannot be considered Armenoid with reference to the usual definition of that type; their relationship is obviously with other brachycephals of Europe Affiliation.

راجع : William M. Shanklin = Anthropology of Syrian Males ( Jour. Roy. Anth. Inst., Vol. L XVIII), 1938.



٣ - السكان الذين ينزلون على حافة الصحراء ، في حماء وماردين وحفر وحبجانه ، وهؤلاء يمكن اعتبارهم جماعات تمثل حالة الانتقال بين عناصر البحر المتوسط في الجنوب والجماعات العربية الروس في الشمال .

ويمكن تلخيص الفروق الأساسية بين هذه المجموعات الثلاثة في النقاط الآتية :

١ - استمالة مطردة للرأس ، وانخفاض في النسبة الرأسية كلما تحركنا من الاقليم الجبلي الى حافة الصحراء ، لكن ليست هنالك قاعدة مطردة يمكن الأخذ بها فيما يختص بعرض الرأس على غرار ما لوحظ في حالة طول الرأس ، وإن كان يمكن أن نقول إجمالاً إن الروس أكثر اتساعاً بين سكان الجبال وأشد ضيقاً بين أهالي الصحراء .

ب - ضيق مطرد واستمالة في الانف والوجه كلما تحركنا من الشمال الى الجنوب .

ح - أنوف محدبة تغلب بين سكان المناطق الجبلية ، وتظهر بصورة أقل وضوحاً بين البدو سكان الصحراء .

د - بشرة تأخذ في الاسمرار أكثر فأكثر كلما قربنا من الصحراء . أما لون العين فلم تبرز فيه اختلافات واضحة ، ولو أن العيون الزرقاء لا تظهر بين سكان الاقليم الصحراوي إلا نادراً ، وكذلك الحال في لون الشعر وشكله فما يظهر أن هنالك فروقا تذكر بين الجماعات المختلفة في هذه الصفات .

هـ - إن نسبة المجموعة الدموية ( صفر ) تزداد كلما اتجهنا ناحية الصحراء ، حتى لتصل الى أكثر من ٨٩ في المائة بين قبائل الموالي مثلاً .<sup>(١)</sup>

(١) تتفق كل هذه النتائج مع ما وصل اليه الأستاذ (فون لوشان) على أساس مقاساته التي أخذها عام ١٨٨٣ على عدد من بدو العنازة ومن قبائل شمر ، ثم قارنها بمقاساته لعدد من العرب المسلمين الذين كانوا يقيمون في بعض مدن سوريا ، إذ كان توزيع النسبة الرأسية مثلاً . أولاً : بين البدو (٣٨ عناهه) النسبة الرأسية بين ٦٨ و ٧٨ و (١٨ من بدو آخرين) النسبة الرأسية بين ٧١ و ٨١ و (٥٠ من البدو الحائل) النسبة الرأسية بين ٧٠ و ٧٤ . ثانياً : بين سكان المدن (٢٠ عربياً من حماء) النسبة الرأسية بين ٨٥ و ٨٩ و (١٥ مسلماً من المدن السورية) النسبة الرأسية بين ٧٦ و ٨٩ كما كان يتمشى هذا مع شكل الانف ، فالبدو بشكل عام أنوفهم قصيرة تتسع نوعاً ما ، أما العرب الآخرون فالأنف فيهم إجمالاً ضيق أشم يميل في الغالب الى التحدب ، راجع هذا كله في مقال :



ومن هذا كله يتضح أن الفوارق الجنسية في سوريا العظمى إنما تتوزع على أسس جغرافية أكثر من ارتباطها بالأسس الدينية ، وإن كان هذا لا ينفى نفيًا باتًا وجود شيء من الصحة فيما ذهب إليه ( فون لوشان ) في مقاله عن « السكان الأوائل لغربي آسيا » ، من أن معامل الارتباط قوى جداً بين الصفات الجنسية للعنصر الأرمني وبين الطوائف التي تعتق المذاهب الدينية غير الإسلامية ، سواء أكان ذلك في الأناضول أم في شمال سوريا وأرض الجزيرة ، فكل هذه الجماعات عظيمة التجانس في تكوينها العثماني ، كنتيجة طبيعية لتزاوجها الداخلي الذي حماها من الاختلاط الكبير الذي تأثرت الجماعات الأخرى به ، ولذلك يرى الكاتب في تلك الجماعات بالذات بقايا السكان الأوائل لهذا الجزء من القارة الآسيوية ، وهو في هذا منطقي مع نفسه ، لأنه من زعماء المدرسة التي تقول بأسبقية العناصر الأرمنية على عناصر البحر المتوسط في سكنى هذه الأقاليم .

ويقع الدروز واللبنانيون مرتبطين بالمجموعة الجبلية ، يقربون كثيراً من المناولة وسكان البقاع ، فالدروز مثلاً عناصر عريضة الروس ، تشتد استدارة الرأس في قسم منهم اشتداداً كبيراً ، ويصح أن نستبعد هنا ما ذهب إليه ( فون أوبنهم ) من أن الدروز عرب هاجروا إلى مناطقهم الحالية في بدء القرن التاسع الميلادي ، لأن هذا يناقض ما يجري به العرف عند العرب ، بل وعند الدروز أنفسهم ، كما يناقض نتائج البحوث الأنثروبولوجية التي تؤكد شدة استدارة الرأس عند الدروز ، وهذه صفة لا نعرفها شائعة بين سكان الصحراء .

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى أن دراسة فصائل الدم عند الدروز تبعدهم عن الدائرة التي يقع فيها اللبنايون على أساس التقسيمات الدموية المعروفة ، فعلى حين أن النسبة الدموية ( Biochemical Race Index ) للبنانيين هي ٢٥٦ ( وهي نسبة تقربهم من الأرمن الذين تبلغ تلك النسبة فيهم ٢٣١ وتبعدهم عن بدو الصحراء ، ونسبتهم ١٥٩ ) ، نراها تهبط بين الدروز إلى ١٥٩ بحسب دراسة الأستاذ ( پار ) . ولما كان الفرس يتفقون في نفس النسبة مع الدروز ، مال ( پار ) إلى الأخذ برأي الأستاذ ( حَيّ ) ، الذي يذهب إلى وجود صلات قوية بين الفرس والدروز . وإذا لم تكن مهمتنا الآن دراسة مثل هذا الزعم ، فإن علينا أن ننبه إلى ضرورة الحرص في قبول مثل هذه الآراء ، من جهة لأن عامل التزاوج الداخلي قد يكون له أثر في هذا الاختلاف الذي نلاحظه في التركيب الدموي بين الدروز وجيرانهم من اللبنانيين ،



ومن جهة أخرى لأن الدراسة الأنثروپولوجية لهذه المنطقة لم تستوف حقها من البحث حتى الآن ، يضاف إلى هذا أنه إذا كان هنالك ما يبرر إيجاد صلة بين الدروز وبين الفرس - على أساس التشابه بينهم في النسبة الدموية - فموقف المؤيدين لهذا الرأي من التشابه بين الدروز وبين جيرانهم من السوريين المسلمين في هذه الناحية بالذات ؛ فالنسبة الدموية عند هؤلاء الآخرين هي ١٦١ ، أى أنها لا تزيد عن النسبة الدموية للدروز إلا بحوالي ٠٢ و وهي زيادة يمكن إغفالها تماماً . إن الأسس الدموية في دراسة الأجناس لا تنزل في بدايتها ، ومن الخير ألا نتعجل في الاعتماد عليها إلى أن تتسع دائرتها لتستند نتائجها إلى بيانات أدق وأوفى .

كذلك يحسن الإشارة إلى جماعات الموارنة ، الذين يسكنون إلى الشمال من الدروز ، والذين هم طائفة مسيحية انفصلت عن الكنيسة المسيحية في منتصف القرن الخامس الميلادي ، وأخذت تسميتها من القسيس ( حنا مارون ) ، الذي اتبعه الموارنة بعد أن تم لهم الانفصال . هذه الجماعة نظراً لعزلتها في الجبال من جهة ، ولعدم تزاوجها مع المسلمين أو الدروز من جهة أخرى ، احتفظت بنقاوة كبيرة نسبياً ، كما يظهر فيها استدارة الرأس وارتفاعه مع تبسط في القزالي ، بشكل لا نعهده فيما يجاورها من جماعات .

ونحن وإن كنا قد وضعنا كل الجماعات عريضة الرؤوس في قسم واحد فما ينبغي أن ننسى أن هنالك فروقاً محلية في مدى غلبة استدارة الرأس ، نتيجة لدرجة تأثير تلك الجماعات بالعناصر التي تنزل على حافة الصحراء . ويكفي أن ندرس الرسومات البيانية التي تمثل توزيع النسبة الرأسية في هذه العناصر ، لنرى أن خط توزيع هذه النسب بين اللبنانيين يظهر فيه قمة إضافية منخفضة نوعاً ما حول ( ٨٠ - ٩٠ ر ) ، وهي قمة لا نلاحظها في حالة الأرمن مثلاً ، مما يدل على أن هنالك عنصراً إضافياً يدخل في التكوين الجنسي اللبنانيين ، يمكن أن نربطه على أساس النسبة الرأسية بسكان المدن الواقعة على حافة الصحراء مثل دمشق وحمص وحلب .

### ثالثاً - فلسطين :

لاحظنا في دراسة الجماعات المختلفة التي تسكن سوريا العظمى أن الرؤوس العريضة تقل باطراد كلما تحركنا ناحية الجنوب ، حتى لامتضال نسبتها تضاعفاً كبيراً بين سكان فلسطين . . ومثل هذه الظاهرة قائمة على طول الحافة الشرقية للصحراء السورية ، إذ أن أبحاث الأستاذ



(كرشنرز) تبين أن أصحاب الرؤوس التي تشتد استدارتها يمثلون بنسبة قليلة جدا بين الجماعات التي تسكن في شمال أرض الجزيرة ، ثم تزداد نسبتهم ضاآلة في جنوب العراق وفي الجزيرة العربية ، على حين ترتفع نسبة الرؤوس المتميزة بالاعتدال في الاستدارة والرؤوس الطويلة في تلك الأقاليم .

يختلف سكان فلسطين إذاً اختلافا جوهريا عن معظم العناصر التي تسكن الى الشمال منهم عامة وعن سكان لبنان بوجه خاص ؛ والدراسة التاريخية لامتداد نفوذ الحيثيين - الذين يمكن أن يرجع اليهم نشر المميزات الأرمينية - تفسر هذا الاختلاف بوضوح ، فالمعروف أن الحيثيين قد مدوا نفوذهم على كل أرمينيا الأناضولية ، وغزوا أرض الجزيرة في الشرق ، وسكنوا المناطق الجبلية والمناطق الساحلية في سوريا لعدة قرون قبل الميلاد ، لكنهم لم يسكنوا فلسطين الا سكاني مؤقتة ، كما أن عددهم كان قليلا .

والدراسة الاثروپولوجية لمن يسميهم الاستاذ ( كابرز ) عربا - من سكان المدن الواقعة شمال خط يمتد بين يافا وأريحا - تبين أن السكان هنالك من أصحاب الرؤوس المتوسطة الذين يتفقون مع سكان منطقة حافة الصحراء من حاب ودمشق الى حدود شرقي الأردن . . . وربما كان مرجع هذا الى الموجات الأرامية التي أتت من الشرق واستقرت حول دمشق وفي شمال فلسطين وشرقي الأردن ، إذ أن الأستاذ ( بهل ) يذهب الى أن الأراميين قد دخلوا شمال فلسطين عن طريق دمشق ، ساكنين جزءاً من وادي البقاع كما سكنوا شمال فلسطين ، وكما نزلوا على حافة الصحراء في شرقي الأردن ممتدين على طول الحافة حتى حمص شمالاً (١) . وكذلك كانت الموجات البشرية المختلفة التي وصلت الى فلسطين تعمل على أن تبرز استطالة الرأس أو توسطها ، إذ كانت غالبية هذه الموجات آتية إما من الغرب بطريق البحر تحمل صفات عناصر البحر المتوسط ، أو من

(١) المعلومات قليلة عن الصفات الجثمانية التي كان الأراميون يتميزون بها ، فهناك سيس وپتري يذهبان الى انهم عناصر فاتحة اللون زرقاء العيون من طلائع الشماليين ( Proto Nordics ) لكن هنالك من يعارض هذا الرأي ويعتبر الأراميين من الناحيتين اللغوية والجنسية متصلين بالمجموعات التي تتكلم اللغات السامية ، والثابت أن شكل الرأس في الأراميين ليس في استطالة رؤوس العناصر الشمالية وانما يميل الى التوسط ، ولو ان هذا قد يكون نتيجة للاختلاط بين عناصر عريضة الرؤوس كالحيثيين وعناصر طويلة الرؤوس كالفينيقيين مثلاً ( راجع في دراسة هذه النقطة كتاب الأستاذ ( كابرز ) عن الدراسة الاثروپولوجية للشرق الأدنى صفحة ٦٩ .



الصحراء ، تصل منها مباشرة ، أو تمر أولاً بأرض الجزيرة ، وكل هذه الموجات كانت تحمل مؤثرات متشابهة لامتد إلى كثير من الصفات التي عرفناها في بعض جماعات سوريا ولبنان بسبب كبير .

وليس في الامكان أن يتعرض الباحث لدراسة سكان فلسطين دون أن يدرس وضع اليهود الجنسي بين سكان هذا الاقليم ، لكن ينبغي عند التعرض لهذه الناحية أن نستبعد اليهود الذين دخلوا فلسطين بعد الحرب الماضية ، لأن هؤلاء خليط لا تربط بينهم رابطة جنسية على الأساس العلمي الصحيح ، كما ينبغي أن نشير إلى أن اليهود بوجه عام لا يكونون وحدة جنسية منسجمة ، على الرغم من أن هناك كتاباً يصفون اليهود بأنهم عناصر سامية نقية مختارة ، ومن أن بعض الكتابات العلمية تصفهم بالتجانس الشديد (١) . وما يهمنا في هذا البحث أن نقاش هذه الآراء بالتفصيل ، وإنما يكفي أن نقرر هنا أن مثل هذا الانسجام لا وجود له إلا في مخيلة بعض الكتاب ، إذ أثبت البحث الانثروبولوجي العميق أن التباين في المميزات الجثمانية للجماعات اليهودية المختلفة تباين شديد ، لا في الصفات الظاهرية كلون البشرة والعين والشعر مثلاً ، بل يتجاوز هذا إلى شكل الشعر وصفات الأنف وأبعاد الرأس وما إلى ذلك : فهناك يهود سمير البشرة وآخرون يميلون إلى البياض بشكل محسوس ، وهناك يهود زرق العيون ويهود سود العيون ، بل ومن اليهود من يتجمع شعره ومنهم من يتوج فيه الشعر أو يستقيم . . والنسبة الرأسية نفسها - التي أشرنا إلى أن غالبية العلماء يتخذونها الأساس الأول في التمييز بين الأجناس - تهبط في بعض اليهود إلى ( ٦٥ ) وترتفع في بعض منهم إلى ( ٩٥ ) ، وبهذا نكون أمام خليط غير متجانس تشدد فيه استطالة الرأس آونة وتعظم استدارتها آونة أخرى . . وعلى ذلك يمكن أن نفسر لمال بعض الكتاب إلى تقسيم اليهود إلى مجموعتين رئيسيتين : الأولى الـ ( Ashkenazim ) ، الذين يمثلهم غالبية يهود أوروبا ، والذين يتميزون بالوجه المستدير والأنف المحذب القصير والعيون الرمادية الصغيرة ، والثانية مجموعة الـ ( Sephardim ) ، الذين يمثلهم يهود اقليم البحر المتوسط ، وهم لهذا يقرَّبون في صفاتهم الجثمانية من صفات سلالات البحر المتوسط ، ذوو وجوه يضاوية وأنوف ضيقة شماء وشعر أسود وعيون تأخذ فتحتها شكل ( اللوزة ) . . ومع ذلك فكل هذا لون من التبسيط للصورة الجنسية المعقدة لليهود الحاليين ، الذين لا يمثلون في عرف علماء الأجناس جنساً ، بل هم خليط تأثرت كل مجموعة منه بالصفات الجثمانية للجماعة التي سكنت بينها .



ومن هنا كان التباين الكبير بينهم في المميزات الجنسية على الرغم مما يربط بين اليهود من وحدة الأماني والدين<sup>(١)</sup>.

هذا عن العناصر اليهودية الحديثة ، أما اليهود قبل فترة الانتشار التي بدأت عندما وضع البابليون أيديهم على (أورشليم) حوالي ٥٨٦ قبل الميلاد فقد تكونوا نتيجة لموجات متعددة ، وصلت الى فلسطين في فترات مختلفة ، وبطرق مختلفة ، وتحث زعامة مختلفة ، وإن كان بنو اسرائيل الذين يكونون العنصر الأساسي في اليهود الحاليين - فيما يظهر - قبائل بدوية أو نصف بدوية تتكلم اللغة السامية ، جاءوا من الصحراء وسكنوا أولا على حافتها في جنوب العراق ، ثم تحركوا الى أن هبطوا فلسطين حيث مثلوا العناصر التي سبقتهم الى سكنى هذا الاقليم . . . وفي الامكان اعتبار هؤلاء اليهود من عناصر البحر المتوسط أساسا ، وإذا فقد كان تكونهم الجنسي بسيطا ، ما داموا أصلا ينتمون الى هذه العناصر ، وما دام الذين سيمثلونهم يرجعون الى هذه العناصر أيضاً مع وجود أثر بسيط للرؤوس العريضة بطبيعة الحال<sup>(٢)</sup>. أما ماظهر فيهم بعد ذلك من صفات جثمانية أبعدهم عن صفاتهم الأولى وقربهم - في رأى بعض الكتاب - من الأرمن فهذه مظاهر مرجعها الى اختلاط في الفترات المتأخرة ، لم يتم في فلسطين نفسها وإنما تم خارج تلك البلاد ، سيما إذا لاحظنا أن طريقهم في الانتشار كان لا بد من أن يؤدي الى نتيجة من هذا القبيل<sup>(٣)</sup>.

(١) هنالك دراسة ملخصة للوضع الجنسي لليهود في كتاب

Julian Huxley (and others) = We Europeans, Pelican Books, 1939, pp. 152-156.

(٢) لقد كان يسكن فلسطين حوالي منتصف القرن الثاني ق. م جماعات متعددة ، فالى جانب

الاسرائيليين كان يسكن العامريون الى الشمال والكنعانيون في أرض كنعان ، وكذلك كان يعيش الفلسطينيون الذين انتشروا في شرق البحر المتوسط حوالي ١٢٠٠ ق. م آتين فيما يغلب من اقليم بحر إيجه . هذا الى جانب بعض العناصر الحيثية التي لا بد من أن يكون أثرها قد وصل الى بعض جهات فلسطين في فترة توسع امبراطورية الحيثيين . راجع تلخيصا لذلك كله في

١ - كتاب الأستاذ (كون) عن أجناس أوروبا صفحات ٤٣٢ الى ٤٣٤ .

٢ - كتاب الأستاذ (هادن) عن الأجناس البشرية صفحات ٩٨ و ٩٩ .

(٣) يرجع بعض الكتاب اعتبار اليهود أصلا عناصر عريضة الرؤوس ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ (كارز) الذي أشرنا الى كتابه عن الدراسة الانثروبولوجية للشرق الأدنى ، راجع صفحة ٩٠ وما بعدها .



لامناص إذًا من التفريق في الناحية الجنسية بين اليهود الأصليين الذين سكنوا فلسطين واستمروا فيها (فهؤلاء جنسيًا أقرب إلى العرب) وبين العناصر اليهودية الحديثة التي هي غربية، لاعتن فلسطين وحدها بل وعن يهود فلسطين الأصليين... وما دمننا بصدد الكلام على اليهود فيصح أن نتذكر أن هنالك جاليات يهودية لها أهميتها تتركز في الأقطار العربية الأسيوية خارج فلسطين :

١ - جالية بالعراق ، بدأت سكنها لهذا الاقليم على شكل مستعمرات يهودية تأسست في القرن السادس ق . م ، وقد ازدهرت هذه المستعمرات اليهودية في ظل الحكم الاسلامي ثم قل عددهم تحت سلطان الأتراك ، فأصبحوا الآن حوالي مائة وعشرين الفا بعد أن كانوا يتجاوزون المليون حسب مذهب اليه ( كرون ) .

ب - يهود بلاد العرب ، وهؤلاء كان عددهم كبيراً في وسط شبه الجزيرة وجنوبها في القرون السابقة مباشرة للإسلام ، وان كان هنالك شك في التاريخ الذي وصلوا فيه والطريق الذي اتبعوه . لقد كان هؤلاء مستعمرات في مدن الحجاز واليمن ، كما تحول عدد كبير من أهل سبأ إلى اليهودية ، ثم ظهر الاسلام فطرد اليهود من الحجاز ، وبهذا أصبحوا لا يوجدون الآن الا في اليمن ، وهم في ذلك القطر يقسمون بحسب لون العمل الذي يمارسونه إلى طائفتين : فهنالك يهود المدن الذين يسكنون صنعا وتعض وغيرها ويشغلون بالتجارة ؛ وهنالك يهود الريف الذين يعملون في الزراعة ، وهؤلاء أقل من يهود المدن عدداً (١) .

#### رابعا - نجد والحجاز :

إن الدراسة الأنثروپولوجية لسكان نجد والحجاز دراسة ناقصة لحد كبير ، وما تزال معلوماتنا عن غالبية هؤلاء السكان معلومات اجتهدية تقريبية ، تعتمد على دراسة عدد قليل ممن يصادفهم الباحث في الشمال أو الجنوب . ومن الكتاب من يأخذ بالنتائج التي وصل إليها الأنثروپولوجيون من دراستهم للجماعات البدوية التي تضرب في الصحراء السورية ، اعتماداً على ما يذهبون اليه من وحدة الجنس بين هذه الجماعات وبين أهالي نجد والحجاز . كل هذا يجعل من الصعب

(١) يعطى الأستاذ ( كرون ) في كتابه عن أجناس أوروبا مقاسات مفصلة ليهود اليمن في المناطق المختلفة بها : ( راجع صفحات ٤٣٨ إلى ٤٤١ ) .



الوصول الى نتائج نهائية في الدراسة الجنسية لهذا الجزء من أقطار الشعوب العربية الأسيوية ،  
 لكن هذا لا يمنع من أن نضيف الى ما سبقته الإشارة اليه من حقائق الملاحظتين الآتيتين :  
الأولى أن كل المناطق الواقعة شمال « الربع الخالي » تكون مع قبائل شرقي الأردن  
 والصحراء السورية وحدة جنسية ، ومعنى هذا أن الحد الشمالي لبلاد العرب من الناحية الجنسية  
 ليس هو الحد السياسى الخالى ، وإنما يعينه خط يسير مع الحدود الجنوبية لما يسمى بسهولة الهلال  
 الخصيب ، وإذا فمن الضروري أن نضم الى سكان شمال بلاد العرب قبائل « كالرولة وشمير  
 والحويطات » ، وهؤلاء يتكونون أساساً من عناصر البحر المتوسط ، بل لعلمهم يمثلون أنقى سلالات  
 هذه المجموعة فى تلك الأقطار ، وبهذا يمكن أن نتلمس بينهم العربى المثالى بالصفات التقليدية  
 التى يعرف عادة بها .

الثانية أن الحجاز - بحكم مركزه الدينى وملاءمة بعض جهاته لحياة الحضر - أصبح سكان  
 مدنه المعروفة ، جدة ومكة والطائف والمدينة ، شديدى الاختلاط ، فيهم من دماء مسلمى الهند  
 وأهل الملايو ، بل ومن سكان التركستان وزنوج افريقية ومسلمى الصين و . . . وإذا كان  
 هذا لا يمنع من وجود عناصر من السكان الأصليين لم تتأثر بهذا الاختلاط ، ولا يتنافى مع  
 ما نصادفه هنالك من عائلات قديمة لا تزال تحتفظ بكثير من تقاوتها الجنسية <sup>(١)</sup> ، فإن عملية  
 الاختلاط مستمرة ، وسوف تشدد بمرور الزمن وضوحاً ، بحيث تفقد الحجاز شخصيتها الجنسية  
 تماماً ، وتصبح على ممر السنين من الأقاليم التى يتعمد تكوينها الجهنسى ، تعقداً تساهم فيه  
 المجموعات الجنسية المختلفة التى أشرنا إليها .

( ١ ) يشير الأستاذ ( كون ) فى كتابه الذى أشرنا اليه إلى أن العائلات الحجازية القديمة  
 يمكن أن توضع بسهولة فى مجموعة متميزة ، يصفها بالقامة المتوسطة وبالرأس الذى تأتى نسبته  
 بين المتوسط والاستدارة . . . ويذهب هذا الكاتب الى انه وان لم تكن هنالك أسس علمية يفهم  
 على ضوءها حقيقة هذا العنصر الحجازى الذى يأخذ مظهر ألبيا ، فان وجوده حقيقة يقررها أولو  
 العلم بسكان الحجاز ، بل إن ( كون ) ليذهب الى أكثر من هذا فيرى ان جماعات من هذا العنصر  
 قد وصلت مع التوسع الاسلامى الى شمال افريقية وكانت مسئولة عن ظاهرة استدارة الرأس التى  
 نلاحظها بين العائلات الارستقراطية فى كثير من مدن شمال افريقية . ومن الضرورى أن نكون  
 حريصين فى قبول مثل هذا الرأى الى أن تكون امامنا مقاسات كافية لأهالى الحجاز نستطيع على  
 ضوءها أن نتبين ما فى هذا الرأى من خطأ أو صواب : راجع كتاب ( كون ) صفحة ٤٠٩ .



الفرق إذًا كبير بين النقاوة الجنسية لسكان نجد والاختلاط الشديد في سكان الحجاز عامة ومدينها المعروفة بوجه خاص . ومثل هذا التباين بين النقاوة في نجد والاختلاط في الحجاز يؤيد تمامًا ما ذهب إليه ( ابن خلدون ) في أكثر من مناسبة في مقدمته ، مؤكداً أن الصريح من النسب إنما يتحقق لسكان البوادي والضرابيين في قلب الصحراء .

### فهرامسا - الأقاليم العربية الجنوبية :

فإذا ما تركنا إقليم شمال الجزيرة العربية وانتقلنا جنوبًا ، فنحن في أرض العرب الجنوبيين ، وهؤلاء وإن اتفقوا مع الشماليين في صغر حجم الرأس ، فإنهم يختلفون عنهم اختلافًا واضحًا في كثير من الصفات الجسمانية الأخرى ، فنحن هنا أمام عناصر تبدو فيها - إلى جانب مميزات الشعر الخاصة ولون البشرة الذي تشدد سمرة - استدارة الرأس واضحة ، بشكل لم نعهده بين العرب الشماليين ، الذين يتميزون باستطالة الرأس أو توسطها ، وإذا وجدت بينهم رؤوس عريضة فنسبناها ضئيلة جدًا إلى مجموع عدد السكان . كذلك تتعدّل مميزات الوجه التي عرفناها بين العرب الشماليين ، وما يصادفنا إلا قليلًا تلك التقاطيع الواضحة الحادة التي عهدناها في أهل الشمال .

ولقد أرجعنا ذلك إلى موقع هذا الإقليم بالنسبة للمجموعات الجنسية المحيطة ، وإلى الصلات التي كانت تربط بين العرب الجنوبيين ومن جاورهم من العناصر الأخرى . هذا من ناحية الحائط الجنسي الذي يسود في هذا الإقليم ، أما سر وجود الرؤوس العريضة هنا فقد أرجعناه إلى هجرات لعناصر عريضة الرؤوس ، يربطها بعض الكتاب بهجرات أرمنية ، ويستبعد كتاب آخرون إمكان وصول مثل هذه الهجرات إلى أقصى جنوب شبه الجزيرة ، ولهذا فهم يرجعون ظاهرة استدارة الرؤوس إلى عناصر إيرانية ، اضطرت أمام ضغط موجات آتية من الشرق إلى أن تتحرك غربًا ، عابرة الخليج الفارسي ، ومؤثرة في عمان وما يقع إلى الغرب من هذا الإقليم .

هذه الفوارق الجنسية البارزة بين عرب الشمال وعرب الجنوب لم تكن فيما يظهر خافية على كتاب العرب أنفسهم ، ولذا نجد نسابتهم يقسمون العرب إلى قسمين ، « عاربة » و « مستعربة » ويرجعون كل قسم منهما إلى أصل مختلف ، فالجنوبيون من العرب ينتسبون إلى ( قحطان ) ، أما الشماليون فينسبونهم إلى ( عدنان ) . على أننا وإن أشرنا إلى هذا الاتفاق في تقسيم سكان



الجزيرة العربية بين نتائج الدراسة الانثروبولوجية وبين ماذهب اليه مؤرخو العرب ونسابتهم ، فليس معنى هذا أن القحطانيين كلهم عراض الروس وأن العدنانيين جميعاً طوال الروس ، إذ الموضوع ليس بهذه البساطة ، وسنرى في سياق البحث أن الأمر لا يعدو مجرد تغليب صفة على أخرى ، وأن أصحاب الروس الطويلة يمثلون في الجنوب كما يمثل أصحاب الروس العريضة في الشمال <sup>(١)</sup> . ولعل من المفيد أن نؤكد أنه مع كل هذه الفروق التي رأيناها تميز عرب الشمال عن عرب الجنوب ، فإن ذلك لا يمنع مطلقاً من أن نرد المجموعتين الى أصل جنسي واحد ، له صفاته العامة المشتركة التي تعدلت بعض مظاهرها فيما انحدر عن هذا الأصل المشترك من فروع .

وعلى الرغم من هذا الوصف العام فإن أجزاء البلاد العربية الجنوبية تختلف في تفاصيل تكوينها الجنسي من إقليم الى آخر ، وسنحاول الآن أن نعطي صورة خاطفة تقرب الواقع الى الأذهان .

١ - اليمن : لابد في الكلام على اليمن وسكانها من التفريق بين سكان المرتفعات وأهل السهول ، إذ الواقع أن الحائط الجبلي الذي يكون حافة الهضبة في الغرب ، والذي يرتفع الى حوالي عشرة آلاف قدم ، قد وقف حائلاً دون توغل سكان الساحل الى إقليم المرتفعات

(١) يشير الأستاذ (سلجمان) الى وجود الروس العريضة الى جانب الروس الطويلة في الأقطار التي وصلت اليها الموجات العربية مع انتشار الاسلام ، فقد ثبت هذا من دراسة عدد من الجماجم الموجودة بمتحف فلورنس وهي لسكان من طرابلس ، كما عثر في مقبرة قرب مدينة القاهرة يرجع تاريخها الى أوائل عهد دخول الاسلام على مجموعة من الجماجم تمثل عناصر عريضة الروس ، ترتفع النسبة الرأسية فيها الى حوالي ( ٨٥ ) راجع كتاب :

C.G. Seligman = Races of Africa, London 1930, P. 234.

كذلك ثبت من دراسته الانثروبولوجية المفصلة للمديرية الشرقية وجود اختلاف في شكل الرأس بين جهات المديرية المختلفة ، فعلى حين يمثل ذوو الروس العريضة تمثيلاً واضحاً في الشمال الشرقي للمديرية ، نجد أن الروس الطويلة واضحة جداً بين سكان مركز بلبس بوجه خاص ، وقد تبين من تتبع الموجات التي وصلت الى المديرية بعد الفتح الاسلامي لمصر ان غالبية القبائل التي سكنت الاطراف الشمالية الشرقية لهذه المديرية كانت لقبائل قحطانية على حين ان اقليم بلبس قد سكنته جماعات من ( قيس عيلان ) وهم عرب شماليون . راجع الفصل الاول والثالث من كتاب :

Abbas Ammar = The People of Sharqiya, Cairo 1944.



الداخلية ، بسبب الاختلاف فى الارتفاع وما يتبع هذا من تباين فى المناخ . . وفى الامكان أن نميز داخل بلاد اليمن عدة أقاليم جنسية لا يصعب أن نفرق بين ما يسكنها من جماعات :

١ - أما سكان الهضبة فيكونون فيما يظهر أنقى عناصر البحر المتوسط فى بلاد اليمن ، لكن هذه العناصر النقية - التى يمكن أن نربطها بسكان بلاد العرب الشمالية - إنما يقتصر توزيعها على المنطقة الواقعة حول ( صنعاء ) ، أما الأقاليم الجبلى الواقع فى جنوب بلاد اليمن الى جوار ( يريم وتعز وإب ) فتسكنه جماعات خليطة من عناصر البحر المتوسط وعناصر ترتبط بالمجموعة ( القداوية ) التى نجد ما يمثلها فى بعض جهات الهند . على أنه حتى فى أشد جهات الهضبة نقاوة فى التكوين الجنسى ، يمكن أن نلمس فروقا ثانوية بين السكان ، فقد أشار الأستاذ ( كون ) مثلا الى وجود عناصر بين الجند ورجال الدين تشدد فيها استطالة الرأس وطول القامة ، أطلق هو عليها اسم ( Atlanto-Mediterranean Types ) ، كما لاحظ أن الذين يدعون لأنفسهم الانتساب الى الرسول من بين سكان الهضبة أفتح بشرة وأشد شقرة من غيرهم من السكان <sup>(١)</sup> .

ب - وعلى طول السهل الساحلى - حيث لا تلائم الظروف المناخية سكنى العناصر البيضاء - يسكن زراع من الزنوج الأرقاء ، لكن هذا لا يمنع من وجود عناصر من الزراع غير الزنوج الذين ينتمون الى عناصر البحر المتوسط . . ولعل من المفيد أن نشير هنا الى وجود عنصر من هؤلاء الزراع الذين تظهر فيهم صفات الزنوج ، يرجع تاريخه الى فترة قديمة ، وقد يكون - فى رأى بعض الكتاب - بقية من بقايا حكم الأحماس لهذا الاقليم فى الفترات السابقة للإسلام .

ج - ثم يبقى بعد هذا تلك العناصر التى تعيش فى القرى والمدن ، والتى تظهر فيها صفات أهل الملايو ، وإن ظهر الى جانب هذا صفات تشبه المميزات الأرمنية ، سواء فى شكل الأنف أو فى شكل الرأس ، لكن الغريب أن صفات أهل الملايو لا تتجاوز سكان الساحل بحال من الأحوال ، مما يشير الى ارتباطها بالنشاط التجارى البحرى الذى كان قائما بين اقليم الملايو والأطراف الجنوبية للجزيرة العربية <sup>(٢)</sup> .

(١) تراجع صفحة ٤٠٨ من كتابه مع ملاحظة أنه علل هذه الظاهرة الأخيرة بما يأتي ، وهو تعليل يجب أن يقبل بتحفظ شديد :

“ There may perhaps have been a Nordic strain associated with the holy families who entered from Hijaz in early post-Islamic times ”

(٢) يصحح أن نشير هنا الى أنه وإن لم يكن لدينا دراسات محددة لسكان بلاد عسير فإنهم من حيث مميزاتهم الجنسية يرتبطون بسكان الهضبة من اليمنيين أكثر من ارتباطهم بسكان الحجاز .



٢ - **مضرموت** : نحن هنا أمام عناصر خليطة لا بد من أن تربط بالكيان الجنسي للمنطقة الجنوبية كلها ، وفي الامكان أن تقرب الصورة الجنسية لسكان هذا الاقليم إذا أشرنا الى أن التركيب الجنسي لهم إنما يدخل فيه العناصر الآتية على الأقل ، مع تفاوت في الأهمية النسبية لكل منها ، فتفاوتاً يمكن أن يفهم على ضوء ماسبقت الاشارة اليه من حقائق :

١ - هنالك عناصر عربية تسكن وادي ( مضرموت ) نفسه ، أتت الى مضرموت من الشمال ومن الغرب في عهود سابقة للإسلام وعهود لاحقة لانتشار هذا الدين ، وهذه العناصر من السهل أن تربطها بمجموعة البحر المتوسط ، التي تسكن وسط بلاد العرب وشمالها من جهة ، وتمثل في هضبة الين من جهة أخرى .

ب - عناصر زنجية افريقية ، أتت بها للعمل في الزراعة منذ العصور الوسطى ، إن لم يكن وصولها سابقاً لذلك ، وهذه العناصر الزنجية - سواء كانت من الرقيق أم من المعتقين - لا تزال تكون مجموعة كبيرة يطلق عليها اسم ( الحجرية ) ، لا تختلط بالعرب الذين يحتفظون بكثير من صفاتهم المعروفة ، على أن هذا ليس معناه انعدام الاختلاط بين المجموعتين ، بل كل ما نعينه هو أن السلالة المهجنة تبقى غالباً منتسبة الى الحجرية لا إلى العرب . . . وما يقتصر وجود الحجرية على إقليم مضرموت ، بل إن جماعات منهم تعيش في سهول الين الجنوبية .

ويعيش في مضرموت - الى جانب هؤلاء الحجرية - جماعات من الصوماليين ، تنتشر قراهم على طول الساحل وفي وادي مضرموت نفسه ، والظاهر أن وصول هذه العناصر ظاهرة حديثة ، بدليل أنها لا تزال تحتفظ بلغتها وعاداتها ، وبدليل أنها لا تزال تقاوم عملية تمثيلها بالعناصر الأخرى ، سواء في الصفات الجثمانية أم في مميزات الحضارة .

ح - عنصر أسيوى ، ترجع أصوله الى اقليم الملايو . وقد سبقت الاشارة الى ما كان يقوم بين هذه المناطق من بلاد العرب وبين اقليم الملايو من علاقات . . والملاحظ هنا أن أثر أهل الملايو إنما يظهر في الطبقات الأرستقراطية وحدها ( مع استثناء طبقة الأسياد ) ، أما الجماعات البدوية والجماعات الزنجية فقد ظلت بعيدة عن هذه المؤثرات لحد كبير .

د - عناصر يمكن أن تربطها بالمجموعة القداويه ، التي أشرنا الى أن آثارها موزعة على امتداد المناطق الساحلية في جنوب بلاد العرب من جنوب الين غرباً الى أرض الظفَّار شرقاً ، كما توزع خارج الجزيرة العربية في بعض جهات السواحل الشمالية للمحيط الهندي مثلاً ، وسكان



حضر موت الذين يمكن ربطهم بهذه المجموعة يتميزون بالجسم النحيل والرأس الصغير والشعر الذى يأخذ غالباً شكل الحلقات .

٣ - **عمان** : والحال فى عمان يقرب مما لاحظناه فى التكوين الجنىسى العام للأقاليم الواقعة فى الجنوب والجنوب الغربى لشبه الجزيرة العربية ، فعناصر البحر المتوسط ممثلة هنا وإن كان هذا بدرجة أقل مما لاحظناه فى اليمن مثلاً ، وأصحاب الرؤوس العريضة يكثرون بين سكان عمان . وإذا كان العمانيون أبعد ما يكونون عن صفات الزوج ، فإن هنالك جالية كبيرة من العناصر الزنجية تسكن مراكز زراعة النخيل وغيرها فى عمان ، وتلك العناصر الأخيرة فى الواقع أثر من آثار العلاقة التجارية التى كانت قائمة بين عمان وشرقى افريقية ، ونتيجة طبيعية لما كان يرتبط بهذا من تجارة الرقيق .

### الوقسام الجنىسية لشعوب الأقطار العربية الأسيوية :

نخرج من هذا كله بمفاتيح بارزة ، تصفى لنا الموقف فى الدراسة الجنىسية لشعوب الأقطار العربية فى آسيا وأهم هذه الحقائق هى :

أولاً - إن وصف شعوب هذه الأقطار بأنها « شعوب عربية » لا يمكن أن يعتمد على الأسس الجنىسية التى يحددها علماء الأجناس ، وإنما العامل المشترك بينها جميعاً هو عامل اللغة التى هى أبرز مظاهر المميزات الثقافية .

ثانياً - إن الكتلة الجنىسية التى تتسع رقعتها فى الأقطار العربية الأسيوية هى كتلة عناصر البحر المتوسط بصفاتها المعروفة ، تأخذ أشد مظاهر تفاوتها فى قلب الصحراء ، ثم تقل هذه النقاوة كلما تحركنا شمالاً أو انتقلنا ناحية الجنوب .

ثالثاً - إن أبعد العناصر عن هذه الكتلة الجنىسية الغالبة هى المجموعات التى تتمتع بشبه عزلة جنىسية ، استطاعت معها أن تحتفظ بمميزات الأرمينية ، وإن كانت قد عجزت عن أن تتفادى المؤثرات الخارجية فى بعض مظاهر الثقافة كاللغة مثلاً .

رابعاً - إن شعوب الأقطار العربية الأسيوية يمكن أن تقسمها على ضوء الحقائق التى فصلت إلى الأقاليم الجنىسية المتميزة الآتية :



- ١ - إقليم يحده من الجنوب خط يوازي الحدود الشمالية لأراضي الهلال الخصيب ، تدخل فيه المناطق الجبلية .
- ٢ - إقليم يشمل الأراضي التي تقع الى جنوب الاقليم السابق حتى صحراء الربع الخالي في الجنوب .
- ٣ - الاقليم الانتقالي بين الاقليمين الأول والثاني ، يدخل فيه جنوب العراق ومعظم فلسطين والمنطقة الواقعة على حافة الصحراء .
- ٤ - إقليم اليمن وتضم اليه بلاد العسير .
- ٥ - إقليم عمان .
- ٦ - الاقليم الانتقالي بين إقليم اليمن من جهة وإقليم عمان من جهة أخرى .

### جماعة الدول العربية في ضوء الدراسة الجنسية لهذه الدول :

والآن وقد رأينا أن الوحدة الجنسية بين شعوب الأقطار العربية الآسيوية ليست وحدة تامة ، وأن هنالك اختلافات تفصيلية في المميزات الجثمانية بين كثير من الجماعات التي تسكن هذه الأقطار ، فما صلة هذا كله بتكوين جماعة الأمم العربية ، وما مبلغ الأثر الذي قد تتركه مثل هذه الحقيقة في توجيه التفكير في هذا الموضوع ؟ إن من الكتاب في هذه المسائل من يرى أن وحدة الشعوب أمر يتطلب انسجاماً تاماً في التكوين الجنسي لها ، ويستلزم انفاقاً في رابطة الدم وصلة الأنساب. ونحن وإن كنا نسلم بأن الوحدة المثالية قد تستدعي مثل هذا ، فإننا لانكاد نلمس لمثل هذه الوحدة وجوداً في غالبية دول العالم وقومياته ، إن تركنا جانباً روابط الثقافة ، ورحنا نحال كيائها الجنسي على الأسس العلمية التي وضعها علماء الأجناس لتقسيم الجماعات والشعوب ، فالجزائر البريطانية والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا والاتحاد السوفيتي و.. كل هذه وحدات يتداخل في التكوين الجنسي لكل وحدة منها عناصر متعددة ، تتقارب أحياناً وتتباعداً أحياناً أخرى ، ومع ذلك لم يمنع عدم التجانس الذي نلمسه بين سكانها من وجود صلات قوية جداً بين تلك العناصر المختلفة ، ترتكز على رابطة المكان من جهة ، وعلى مآخذها تلك الصلات من فوائد اقتصادية وسياسية وحرية ، فوائد ما كان يمكن أن تتحقق لو ظلت تلك العناصر مفككة متنافرة ، توجه كل منها اتجاهاً فردياً لا تنقيد فيه باتجاهات العناصر الأخرى .



فاذا ثبت لنا وجود العوامل الأخرى اللازمة لتكوين وحدة جامعة الأمم العربية ،  
واتضح لنا أن هنالك منافع اقتصادية وسياسية مؤكدة يمكن أن تجنيها الأقطار العربية من اتحادها ،  
وتذكرنا دائماً أن فكرة جامعة الأمم العربية لا ترمى الى الاندماج والانصهار بل انه سيحتفظ لكل  
وحدة فيها بشخصيتها وذاتيتها ، فما ينبغي أن يعوق تحقيق قيام مثل هذه الجامعة ما يعترى  
انسجامها الجنسي من ضعف في بعض الأقطار ، سيما إذا أدركنا أن العناصر الجنسية الأساسية  
بين سكان الأقطار العربية الأسيوية جميعا لا تتباعد تباعدا مُنفِراً في تكوينها الجنسي ، وسيما  
إذا تنبهننا الى أن هذه الأقطار إنما يجمع بينها وحدة اللغة ، ويوحد بين غالبية سكانها عامل الدين ،  
واللغة والدين من أقوى العوامل التي تقرب بين الشعوب وتربط بين مختلف القوميات .





## مراجع البحث

### أولا - المراجع العربية :

ليس هنالك لسوء الحظ دراسات علمية لشعوب الأقطار العربية ، وكل ما لدينا كتابات عامة بعضها عن العرب وقبائلهم في الأقطار المختلفة ، وبعضها عن العشائر والبطون الضاربة في قطر معين من تلك الأقطار ، ومثل هذه الكتابات ، إن أفادت في الدراسة التاريخية أو النواحي الاجتماعية ، أما الحقائق الجنسية والتفاصيل الأنثروپولوجية فلم تلق في المؤلفات العربية الى الآن ما تستحقه من عناية . . وفيما يلي أهم المراجع العربية التي قد يجد الباحث فيها مادة تنير له السبيل في بعض نواحي الدراسة لشعوب الأقطار العربية الأسيوية ، وإن كنا ننبه الى ضرورة الحرص في الأخذ بكثير مما ذهب اليه غالبية الكتاب فيما نشير اليه من مؤلفات :

- ١ - صفة جزيرة العرب للهمداني ٢ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ - الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٤ - العبر لابن خلدون ٥ - صبح الأعشى ونهاية الأرب وقلائد الجمان للقلقشندي ٦ - سبائك الذهب لأبي الفوز البغدادى ٧ - مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ٨ - جهرة النسب لابن حزم الظاهري ٩ - بلوغ الأرب للسيد شكري الألوسي ١٠ - القضاء بين البدو للسيد عارف المارف ١١ - جزيرة العرب في القرن العشرين للشيخ حافظ وهبه ١٢ - جغرافية العراق لطف الهاشمي ١٣ - صفحة من تاريخ أعراب شمالى الشام لوصفي زكريا ، بمجلة الثقافة التي تصدر بدمشق في الجزء السابع من السنة الأولى (١٩٣٣) وما يلي ذلك من أجزاء ١٤ - المدخل الشرق لمصر لعباس عمار ١٥ - تاريخ شرقى الأردن وقبائلها تأليف فردريك بيك وتعريب بهاء الدين طوقان .

### ثانياً - المراجع الأفرنجية:

1. Ammar, A.M. = Physical Measurements and Serology of the People of Sharqiya. (Jour. Roy. Anthr. Institute, Vol. LXX, Part 11, 1940).
2. " " = Racial Elements in the North - Eastern Province of Egypt (Jour. Roy. African Society, 1941 - 1942).
3. " " = The People of Sharqiya, 2 Volumes, Cairo 1944.
4. Barton, G.A. = Semitic and Hamitic Origins, Philadelphia 1934.



5. Burekhardt, J.L. = Notes on the Beduins and Wahabys, Vol. 1, London 1831.
6. Buxton, L.H.D. = The Peoples of Asia, London 1935.
7. Chantre, E. = Recherches Anthropologiques dans l'Asie Occidentale, Lyon 1895.
8. Coon, C.S. = Races of Europe, NewYork 1939.
9. Deniker, J. = Les Races et les Peuples de la terre, Paris 1926.
10. Field, H. = The Arabs of Central Iraq, Chicago 1935.
11. Glubb, J.C. = The Beduins of Northern Iraq (Jour. Roy. Central Asiatic Society, Vol. XXII, 1935).
12. Haddon, A.C. = The Races of Man, Cambridge 1929.
13.     "      "      = Wanderings of Peoples, Cambridge University Press 1911.
14. Hooton, E.A. = Up from the Ape, London 1931.
15. Herdlicka, A. = The Coming of Man from Asia (Amer. Jour. Phys. Anthropology, Vol. XVII, 1920).
16. Huxley, J. & others = We Europeans (Pelican Books, 1939).
17. Kappers, C.U.A. = An Introduction to the Physical Anthropology of the Near East, Amsterdam 1934.
18. Keith, (Sir Arthur) = The Racial Characters of the Southern Arabs (Appendix 1 to B. Thomas's book on Arabia Felix).
19.     "      "      = Introduction to Henry Field's Book on the Arabs of Central Iraq.
20. Krischner H.T.M. = The Anthropology of Mesopotamia and Persia (Proc. Roy. Acad. Amsterdam Vol. XXXIII, 1930; Vol. XXXIV, 1931).
21. Leys, N.M. & Joyce, A.T. = Notes on a series of Measurements from East Africa (Journ. Roy. Anthr. Institute Vol. XLIII 1913).
22. Luschan, V. = The Early Inhabitants of Western Asia (Jour. Roy. Anthr. Institute, Vol. XLI, 1911).
23. Musil, A. = Arabia Deserta, NewYork 1927.
24.     "      "      = The Manners and Customs of the Rwala Beduins, NewYork 1928.
25. Parr, L.W. = Blood Studies on Peoples of Western Asia and North Africa (Amer. Jour. Phys. Anthropology, Vol. XVI, 1931).
26.     "      "      = Isohemagglutination studies on Near Eastern Race Groups (Chapter X in Kapper's Book on the Anthropology of the Near East).
27. Pittard, E. = Race and History, London 1927.



28. Ripley, W.Z. — The Races of Europe, London 1899.
29. Sayce, A.H. — The Races of the Old Testament, London 1925.
30. Seligman, C.G. — Some Aspects of the Hamitic Problem in the Anglo-Egyptian Sudan ( Jour. Roy. Anthr. Institute. Vol. XLIII, 1913 ).
31.       "       "       = The Physical Characters of the Arabs ( Jour. Roy. Anthr. Institute Vol. XLVII, 1917 ).
32.       "       "       = Races of Africa, London 1930.
33. Seltzer, C.C. — The Racial Characteristics of Syrians and Armenians ( Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, Harvard University, Vol. XIII No. 3, 1936 ).
34. Sergi, G. — The Mediterranean Race, London 1901.
35. Shanklin, W.M. — Blood Grouping of Rwala Beduins ( Jour. Immunol. Vol. XXIX, 1935 ).
36.       "       "       = The Anthropology of the Rwala Beduins ( Jour. Roy. Anthr. Institute, Vol. LXV, 1935 ).
37.       "       "       = Anthropology of the Akeydat and the Mualy Beduins ( Amer. Jour. Phys. Anthropology, Vol. XXI, 1936 ).
38.       "       "       = Blood Grouping of the Mualy and Akeydat Beduins ( Amer. Jour. Phys. Anthropology, Vol. XXI, 1936 ).
39.       "       "       = Anthropometry of Syrian Males ( Jour. Roy. Anthropol. Institute, Vol. LXVIII, 1938 ).
40.       "       & N. Izzedin — Anthropology of the Near East Female ( Amer. Jour. Phys. Anthropology, Vol. XXII, 1937 ).
41. Thomas B. — Arabia Felix, London 1932.
42. Worrell, W.H. — A Study of Races in the Ancient Near East, Cambridge, 1927.



## ملاحق

### أولاً - الجداول الإحصائية :

- ١ - المساحة وعدد السكان في الأقطار العربية الأسيوية .
- ٢ - توزيع السكان في سوريا ولبنان حسب طوائفهم الدينية .
- ٣ - توزيع السكان في فلسطين بحسب ديانتهم .
- ٤ - توزيع السكان في العراق حسب طوائفهم ومذاهبهم الدينية .
- ٥ - المقاسات الأنثروبولوجية الأساسية لأهم الجماعات في الدول العربية الأسيوية .
- ٦ - توزيع مجموعات الدم بين أهم الجماعات في الأقطار العربية الأسيوية .

### ثانياً - الرسوم البيانية :

- ١ - توزيع النسبة الرأسية بين الجماعات العريضة الروس في سوريا ولبنان .
- ٢ - « » « » « » سكان الحافة الغربية للصحراء السورية .
- ٣ - « » « » « » الجماعات العربية والبدوية في سوريا وشرق الأردن وفلسطين وجنوب الجزيرة العربية .
- ٤ - « » « » « » الجماعات التي تسكن شمال العراق .
- ٥ - « » « » « » « » « » « » وسط العراق .

### ثالثاً - الخرائط :

- ١ - خريطة تبين الدول العربية الأسيوية .
- ٢ - « » « » الهجرات البشرية الرئيسية في جنوب غربي آسيا .
- ٣ - « » لتوزيع أهم الجماعات في سوريا ولبنان .
- ٤ - « » « » « » « » شمال العراق .



جدول رقم ( ١ ) الأقطار العربية الآسيوية مساحة وسكاناً<sup>(١)</sup>

| عدد السكان                 | المساحة ( كم ٢ ) | القطر                |
|----------------------------|------------------|----------------------|
| ٣٨٨٨٣٦٢٣٨ ( ١٩٤٢ )         | ١٧١١٠٤           | سوريا                |
| ١٠٢٢١١٤ (    )             | ١٠١٧٠            | لبنان                |
| ١٥٣٨٥٩٩ (    )             | ٢٧٠٠٩            | فلسطين               |
| ٣١٠٠٠٠ ( ١٩٣٨ )            | ٩٠٠٠٠            | شرقي الأردن          |
| بين ٣ مليوناً و ٣٥ مليوناً | ٤٥٣٥٠٠           | العراق               |
| ٤٥٩٩٢ ( ١٩٣١ )             | ١٢١              | مستعمرة عدن          |
| ٦٠٠٠٠٠                     | ٣٠٠٠٠٠           | حمية عدن             |
| ٦٠٠٠٠٠                     |                  | الكويت               |
| ٥٠٠٠٠٠                     | ١٣٢٠٠٠           | مسقط وعمان           |
| ٣٠٠٠٠٠٠                    | ١٢٨٧٠٠٠          | مملكة العرب السعودية |
| بين ٣ مليوناً و ٤ مليوناً  | ١٢١٠٠٠           | اليمن                |
| ١٢٠٠٠٠                     | ٦٠٠              | البحرين              |

( ١ ) اذا استثنينا سوريا ولبنان وفلسطين والعراق فالأرقام لباقي الأقطار العربية الآسيوية تقديرية لادقة فيها ، كذلك يلاحظ أن إحصاء البدو أمر على درجة كبيرة من الصعوبة حتى في الأقطار التي يوجد لها إحصائيات على شيء من الدقة .

ويستطيع القارئ أن يرجع - إن شاء إحصائيات أوفى - الى الجداول المفصلة التي تصدرها دول مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ؛ وهناك جداول تلخيصية لا بأس بها في كتاب :

Statistical Handbook of Middle Eastern Countries (Published by the Economic Research Institute - Jewish Agent for Palestine), Jerusalem 1944.



جدول رقم (٢) : توزيع السكان في سوريا ولبنان بحسب مذاهبهم الدينية ( باستثناء البدو )

| لبنان ( ١٩٤٢ )       | سوريا <sup>(١)</sup> ( ١٩٣٨ ) | المذاهب الدينية          |
|----------------------|-------------------------------|--------------------------|
| ٢٢٥٠٥٨٤              | ١٧٣٧٤٠٢                       | السنونيون <sup>(٢)</sup> |
| ٢٠٠٠٦٩٨              | ١١٠٥٤١                        | الشيعة                   |
| —                    | ٢٧٤٠٤٨٦                       | العلويون                 |
| ٧١٠٧١١               | ٧٩٠٤٢٨                        | الدروز                   |
| —                    | ٢٤٠٣٩٠                        | الاسماعيلية              |
| ٣١٨٠٢٠١              | ١١٠٨٠٠                        | الموارنة                 |
| ٦١٠٩٥٦               | ٤٢٠٤٢٧                        | الميلكيون                |
| ٣٠٠٠٢                | ٤٠٧٥٠                         | اللاتينيون               |
| ٩٠٧٤٣                | ١٢٠١٣٧                        | الارمن الكاثوليك         |
| ٤٠٧٨٨                | ١٤٠١٨٢                        | السوريون الكاثوليك       |
| ١٠٢٧٤                | ٣٠٧٥٩                         | الكلدانيون               |
| ١٠٦٠٦٥٨              | ١١٥٠١١٨                       | الروم الأرثوذكس          |
| ٥٨٠٠٧                | ٨٦٠٧٤٢                        | الارمن ( الجريجوريان )   |
| ٣٠٥٧٥                | ٣٢٠٨٩٢                        | السوريون الأرثوذكس       |
| ١٠٠١٥٢               | ٧٠٦٦٠                         | البروتستانت              |
| —                    | ٢٠٠٦٣                         | اليزيديون                |
| ٥٠٥٠٣ <sup>(٣)</sup> | ٢٦٠٢٥٠                        | اليهود                   |

(١) يدخل في هذا سكان اللاذقية وجبل الدروز ، ولا يعد فيه سكان سنجق الأسكندرونة .

(٢) يدخل في هذا الأكراد والترك والتركان والشراكسة إلى جانب العرب .

(٣) يراجع في هذا صفحة ١٠٠ من كتاب :

Statistical Handbook of Middle Eastern Countries, (Published by Economic Research Institute, Jewish Agency for Palestine), Jerusalem 1944.



جدول رقم (٣) السكان المستقرون في فلسطين حسب مذاهبهم الدينية (١)

| السنة          | الجملة    | مسلمون | يهود    | مسيحيون | مذاهب أخرى |
|----------------|-----------|--------|---------|---------|------------|
| تعداد ١٩٢٢     | ٦٤٩٠.٤٨   | ٤٨٦١٧٧ | ٨٣٧٩٠   | ٧١٤٦٤   | ٧٦١٧       |
| » ١٩٣١         | ٩٦٦٧٦١    | ٦٩٣١٤٧ | ١٧٤٦٠٦  | ٨٨٩٠٧   | ١٠١٠١      |
| تقديري في ١٩٤٠ | ١٢٤٦٠.٩٢٣ | ٨٧٣٤٥٣ | ٤٥٦.٠٩١ | ١١٨٩٦٦  | ١٢٤١٣      |
| » ١٩٤٣         | ١.٥٨٢.٨٣٣ | ٩٤٦٩٧٣ | ٤٩٢٩٨٠  | ١٢٩٤٦٦  | ١٣٤١٤      |

جدول رقم (٤) سكان العراق

حسب مجموعاتهم ومذاهبهم الدينية (٢)

| الجماعات    | سنيون     | شيعة      | مسيحيون | يهود    | مذاهب أخرى | الجملة    |
|-------------|-----------|-----------|---------|---------|------------|-----------|
| العرب       | ٤٥٠.٠٠٠   | ١٦٠.٠٠٠   | —       | —       | —          | ٢.٥٠.٠٠٠  |
| الآكراد     | ٦٥٠.٠٠٠   | —         | —       | —       | —          | ٦٥٠.٠٠٠   |
| مسيحيون     | —         | —         | ١٨٠.٠٠٠ | —       | —          | ١٨٠.٠٠٠   |
| يهود        | —         | —         | —       | ١٢٠.٠٠٠ | —          | ١٢٠.٠٠٠   |
| ايرانيون    | —         | ٨٥.٠٠٠    | —       | —       | —          | ٨٥.٠٠٠    |
| ترك         | ٧٠.٠٠٠    | —         | —       | —       | —          | ٧٠.٠٠٠    |
| يزيديون     | —         | —         | —       | —       | ٤٠.٠٠٠     | ٤٠.٠٠٠    |
| جماعات أخرى | —         | —         | —       | —       | ٢٠.٠٠٠     | ٢٠.٠٠٠    |
| الجملة      | ١.١٧٠.٠٠٠ | ١.٨٦٥.٠٠٠ | ١٨٠.٠٠٠ | ١٢٠.٠٠٠ | ٦٠.٠٠٠     | ٣.٢١٥.٠٠٠ |

(١) قدر عدد البدو في تعداد ١٩٢٢ بـ ١٣٤.٠٨١ ، وفي تعداد ١٩٣١ بـ

٦٦.٥٥٣.

(٢) على أساس تقديرات ما قبل الحرب الأخيرة.



جدول رقم (٥) : متوسطات أهم المقاييس والنسب الأثروبومترية لمادرس من جماعات الأقطار العربية الأسيوية [أولا : سوريا ولبنان]

| النسبة<br>الأنثوية | اتساع<br>الأنف | ارتفاع<br>الأنف | النسبة<br>الوجهية | ارتفاع<br>الوجه | عرض<br>الوجه | النسبة<br>الرأسية | عرض<br>الرأس | طول<br>الرأس | القامة  | عدد<br>الحالات | الجموعه     |
|--------------------|----------------|-----------------|-------------------|-----------------|--------------|-------------------|--------------|--------------|---------|----------------|-------------|
| ٦٥٨٧               | ٢٣٣٩ مم        | ٩٠٥١ مم         | ٩٠٥٠              | ١٢٢٦ مم         | ١٢٥٠٢ مم     | ٨٤٩ مم            | ١٥٥٠ مم      | ١٧٧ مم       | ١٦٥٤ مم | ١٤٩            | أهل البقاع  |
| ٦٤٨٧               | ٣٣٣٨           | ٥٢٥٨            | ٩٠٦               | ١٢١٣            | ١٣٥٣         | ٨٧٣               | ١٥٢٨         | ١٧٦          | ١٦٩٩    | ٣٠٢            | الميتاوله   |
| ٦٥٠١               | ٣٤٨٨           | ٥٣٩٠            | ٩٠٨               | ١٢٢١            | ١٣٤٨         | ٨٣٢               | ١٤٨٥         | ١٧٨          | ١٦٦٥    | ٣٠٩            | المطويون    |
| ٦٢٢٦               | ٢٥٠٠           | ٥٦٠٠            | ٩٠٤               | ١٢٦٠            | ١٣٩٠         | ٨٦٤               | ١٥٦٠         | ١٨١٠         | ١٦٥٦    | ١٨١            | الدروز      |
| ٦٨٠٢               | ٣٥٥٥           | ٥٢٦٩            | ٩٠٦               | ١٢١٥            | ١٣٢٥         | ٧٨٦               | ١٤٣٧         | ١٨٤٩         | ١٦٣٩    | ١٧٥            | أهل حماه    |
| ٦٧٠١               | ٢٥٠٢           | ٥٢٨٩            | ٩٠١               | ١٢٠٩            | ١٣٤١         | ٧٩٩               | ١٤٧١         | ١٨٤٥         | ١٦٨١    | ١٥٧            | ماردين      |
| ٦٩٠٢               | ٢٥٥٤           | ٥١٦٩            | ٩٠٨               | ١٢٢٢            | ١٣٢١         | ٧٥٠               | ١٤٣٣         | ١٨٩٥         | ١٦٨٠    | ٩٣             | حفر         |
| ٦٦٠٦               | ٣٣٥٥           | ٥٠٧٩            | ٩٠٧               | ١١٩٦            | ١٣٠٤         | ٧٧٥               | ١٤٢٥         | ١٨٤٣         | ١٦٤٣    | ٢٩٨            | حجانه       |
| ٦٦٠٢               | ٣٣٥٥           | ٥٠٧٩            | ٩٠٧               | ١١٩٦            | ١٣٠٤         | ٧٧٥               | ١٤٢٥         | ١٨٤٣         | ١٦٤٣    | ٢٩٨            | الموالي     |
| ٦٥٠٩               | ٣٦٠٢           | ٥٤٦٩            | ٩٠٩               | ١٢٣٣            | ١٣٤٥         | ٧٦٣               | ١٤٦٩         | ١٩١٣         | ١٦٨٥    | ١٢٠            | العقيدات    |
| ٦٢٣٧               | ٢٥٥٠           | ٥٥٠١            | ٩٠٦               | ١١٩٢            | ١٢٩٨         | ٧٥٠               | ١٤٣٦         | ١٩١٤         | ١٦١٨    | ٢٧٠            | الرواله     |
| ٦١٠١               | ٣٥٥٣           | ٥٨٩٢            | ٩٠٧               | ١١٩٨            | ١٢٩٤         | ٧٥٢               | ١٤٤١         | ١٨٨٤         | ١٦٧٦    | ٣٩٠            | عرب من كس   |
| ٦١٠١               | ٣٤٥٥           | ٥٥٦٩            | ٩٠٥               | ١٢٠٩            | ١٣٣٨         | ٧٦٦               | ١٤٣٦         | ١٨٧٣         | ١٧٢٥    | ٢٢٨            | جند عراقيون |
| ٥٨٠٤               | ٣٥٥١           | ٦٠٤٩            | ٩٠٤               | ١١٧٢            | ١٢٨٤         | ٧٣٣               | ١٤٠٢         | ١٩١٣         | ١٦٨٢    | ٣٨             | بلو من هبيج |

(١) يراجع في تفاصيل هذه الأرقام جداول الأستاذ (شاذنكن) في مقالاته المختلفة عن جماعات السورية واللبنانية التي أثير إليها ضمن مراجع هذا البحث .

(٢) (هنا في هذا) في كتابه عن عرب العراق الأوسط .







جدول رقم ( ٦ ) : التوزيع المئوي لمجموعات الدم المختلفة بين أهم ما درس من جماعات الأقطار العربية الآسيوية (١)

| المجموعة         | الباحث   | عدد الحالات | النسبة المئوية في مجموعات الدم المختلفة |       |      |      | النسبة المئوية |
|------------------|----------|-------------|-----------------------------------------|-------|------|------|----------------|
|                  |          |             | صفر                                     | أ     | ب    | أ ب  |                |
| الأرمن           | پار      | ٣٠٨٠        | ٢٨١٤                                    | ٤٦٢٠  | ١٢٦٣ | ١٣٠١ | ٢٣١            |
| "                | ألتونيان | ٦٥٣         | ٢٧٠٠                                    | ٥٣٠٠  | ١٤٠٠ | ٦٠٠  | ٢٩٥            |
| "                | كوسوفتش  | ٢٨٠         | ٣٦٠٣                                    | ٤٠٣٠  | ١٦٦٠ | ٦٨٠  | ٢٠١            |
| مسلمو سوريا      | پار      | ١٧٧٧        | ٣٥٠٠                                    | ٣٦٠٥٧ | ١٩١٣ | ٩٢٨  | ١٦١            |
| مسيحيو سوريا     | "        | ٢٠٩١        | ٣٧٨٢                                    | ٤٢٣٧  | ١٢١٤ | ٧٦٥  | ٢٥٣            |
| الموالي          | شانكلن   | ٢١٣         | ٨٩١٩                                    | ٧٥٠   | ٣٢٨  | —    |                |
| العقيدات         | "        | ١٥٩         | ٧٤٠٨٤                                   | ١٦٩٧  | ٥٦٥  | ٢٥٢  |                |
| الرولة (معسكر)   | "        | ٧٩          | ٩٤٩٤                                    | ٥٠٦   | —    | —    |                |
| " ( ٢ )          | "        | ٧٧          | ٨٧٠١                                    | ٩٠٩   | ٢٦٠  | ١٣٠  |                |
| " ( ٣ )          | "        | ٥٨          | ٨٢٧٦                                    | ١٢٠٧  | ٥١٧  | —    |                |
| الدروز           | پار      | ٢٢٩         | ٣٣١٨                                    | ٣٦٢٤  | ١٨٣٤ | ١٢٢٢ | ١٥٩            |
| يهود (أشكينازيم) | يونوفتش  | ٣٢٠         | ٣٧١٨                                    | ٣٤٠٦  | ١٨١٢ | ١٠٦٢ | ١٥٥            |
| " ( )            | فلش      | ؟           | ٣٣٤٠                                    | ٤٠٨٠  | ١٨٧٠ | ٧١٠  | ١٨٥            |
| " ( سيفارديم )   | يونوفتش  | ١٥٨         | ٤١١٣                                    | ٢٨٤٨  | ٢٣٤١ | ٦٩٦  | ١١٦            |
| " ( )            | فلش      | ؟           | ٣٨٨٠                                    | ٣٣٠٠  | ٢٣٢٠ | ٥٠٠  | ١٣٤            |
| " سوريا          | پار      | ١٨١         | ٢٨٧٢                                    | ٢٤٢٥  | ١٩٣٣ | ١٧٦٧ | ١٤٠            |
| " حلب            | ألتونيان | ١٧٢         | ٣٨٠٠                                    | ٣٤٠٠  | ٢٠٠٠ | ٨٠٠  | ١٥٠            |
| الآشوريون        | پار      | ١٦١         | ٣٢٩١                                    | ٤١٦١  | ١٤٩٠ | ١٠٥٥ | ٢٠٥            |
| العرب ؟          | هرشفلد   | ٥٠٠         | ٤٣٦٠                                    | ٣٢٤٠  | ١٩٠٠ | ٥٠٠  | ١٥٠            |

(١) المراجع في مجموعات الدم كثيرة في اللغات الأجنبية ، وهناك بعض كتابات باللغة العربية في هذا الموضوع منها مقالان طويلان يحد القاريء العربي فيهما مادة كثيرة هما :  
 أ — بحث في دراسة فصائل الدم الآدي ( للدكتور داود متي ) ، مقالات نشرت بالأعداد ٢ و ٤ و ٦ و ٧ و ٩ بالمجلة الطبية المصرية السنة الحادية والعشرون ( ١٩٣٨ ) .  
 ب — أسرار الدماء ( للدكتور علي توفيق شوشهيك ) في الكتاب السنوي السابع للمجمع المصري للثقافة العلمية ( ١٩٣٦ ) .  
 أما أهمية فصائل الدم في الدراسات الجنسية للشعوب ، فإن القاريء يجد عرضاً وافياً لها في الجزء الخاص بهذا في كتابي عن أهل الشرقية ( باللغة الانجليزية ) :

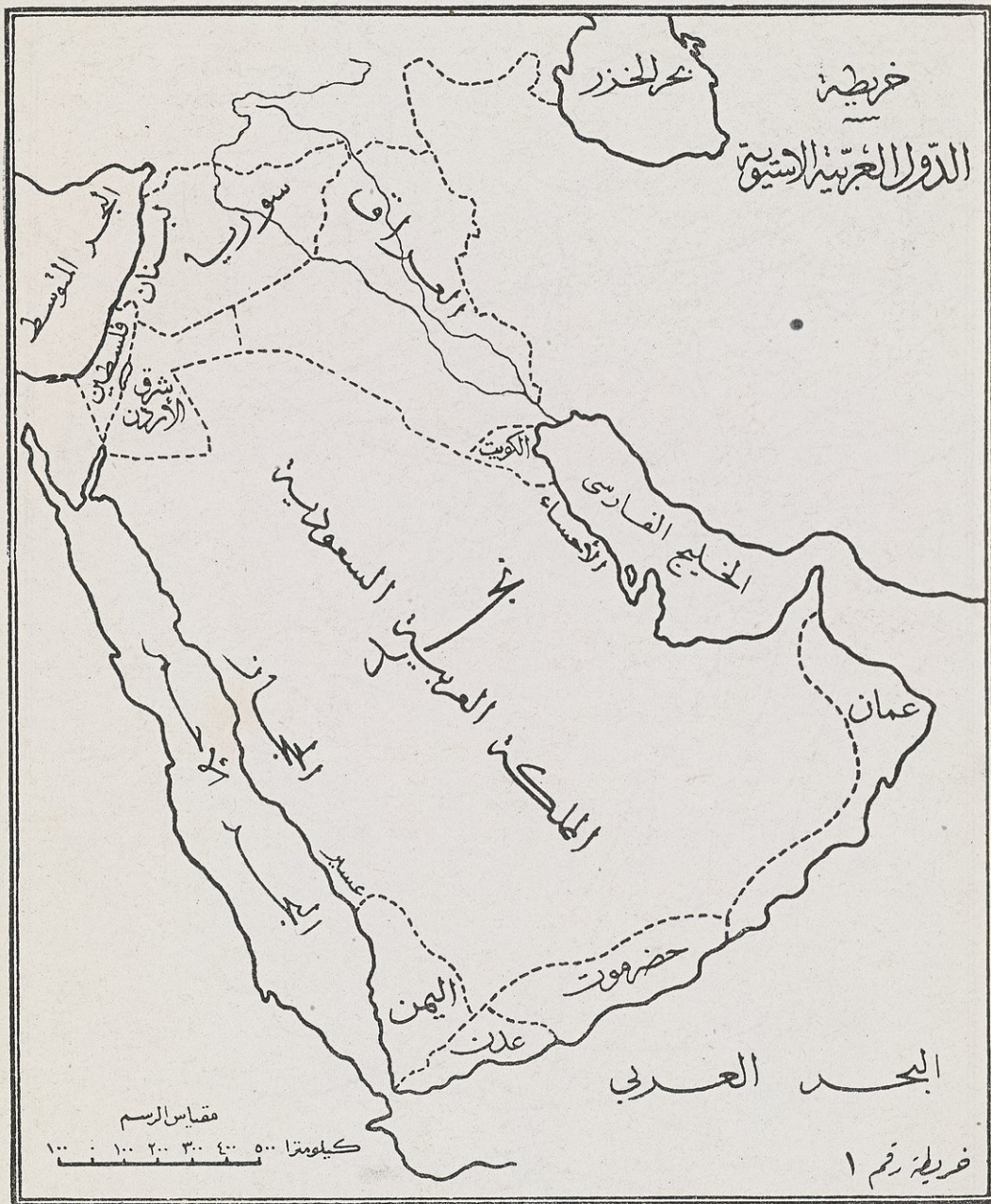
" On the Validity and Significance of Blood Groups in Anthropological Research "

— Abbas M. Ammar — The People of Sharqiya : Their Racial History, Serology, Demography, and Conditions of Life, Cairo 1944.



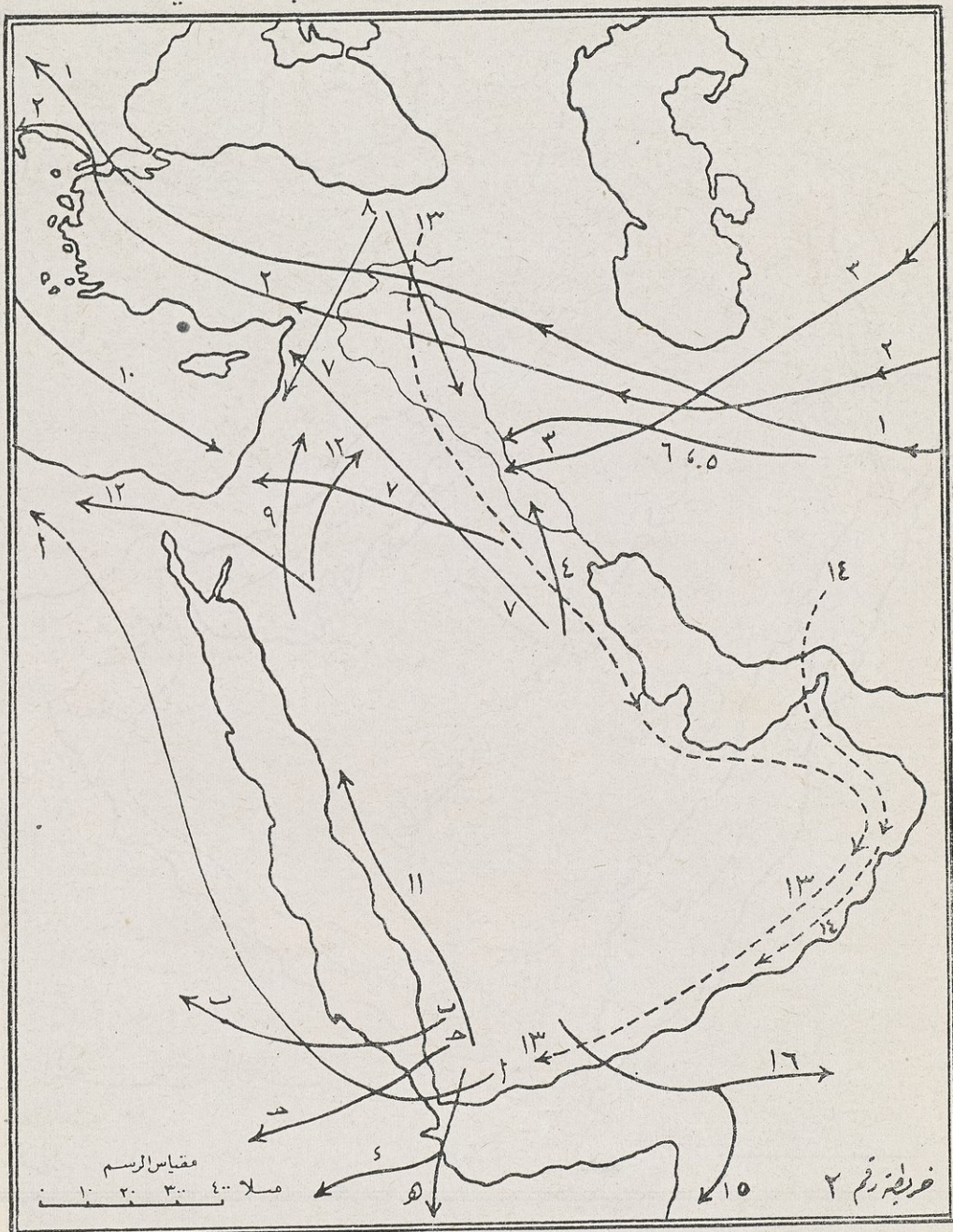








# الهجرات البشرية الرئيسية في جنوب غرب آسيا





## الهجرات البشرية المبينة بالخريطة رقم ٢

- ١ - هجرات ألمية
- ٢ - أتراك ( سلجوقيون وعثمانيون )
- ٣ - هجرات أورالية ألمية إلى شمال الخليج الفارسي
- ٤ - الساميون القدماء
- ٥ ٦ - الميديون والآريون
- ٧ - الساميون
- ٨ - الحثيون
- ٩ - الساميون ( آراميون وغيرهم )
- ١٠ - الفلستينيون
- ١١ - هجرات العرب الجنوبيين
- ١٢ - هجرات إسلامية
- ١٣ - هجرات أرمنية ( محتملة )
- ١٤ - هجرات لسالات عريضة الروس ( محتملة )
- ١٥ - » إلى شرق إفريقية
- ١٦ - » إلى إقليم الملايو

- 
- ١ - طلائع الحاميين
  - ب - الساميون القدماء
  - ح - الساميون الجنوبيون
  - د - الجلا
  - هـ - الصوماليون



توزيع الجماعات في سوريا ولبنان

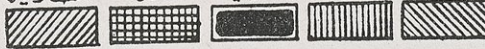


مقياس الرسم ١٠٠ كيلومترا

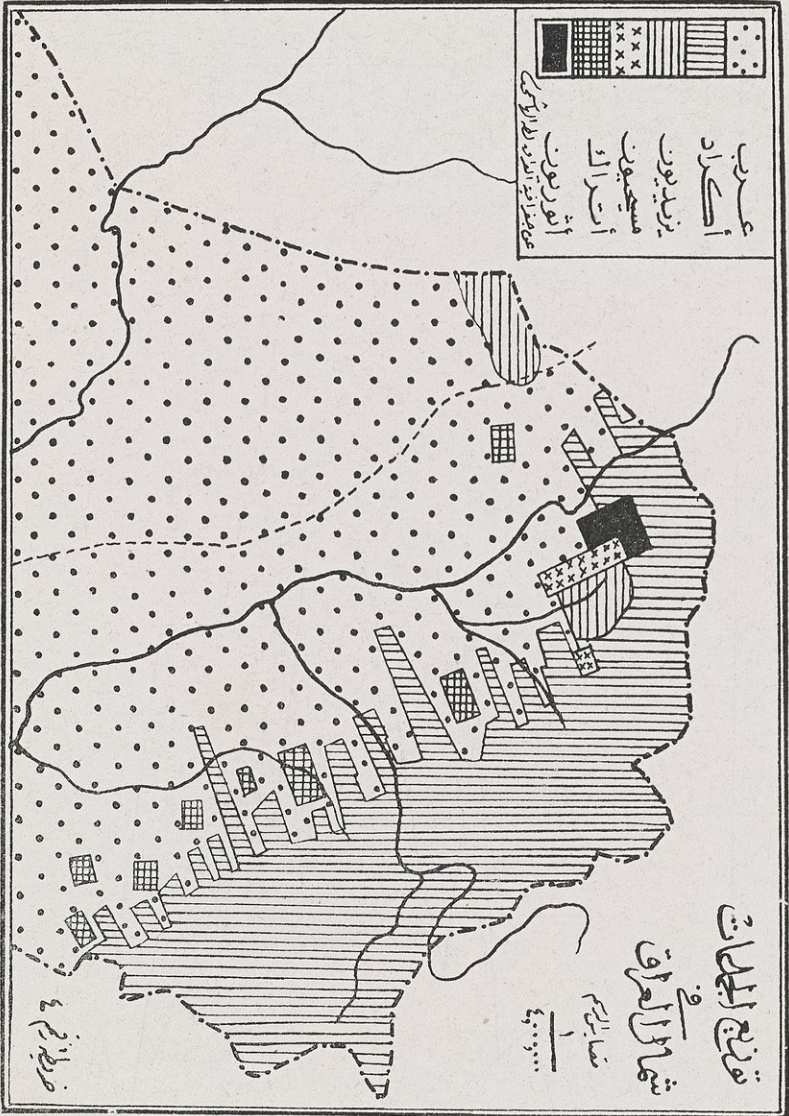
سوريون عرب (بدو) متاولم ترك



موارنسا درونر اسماعيلية أكردا أنصارية

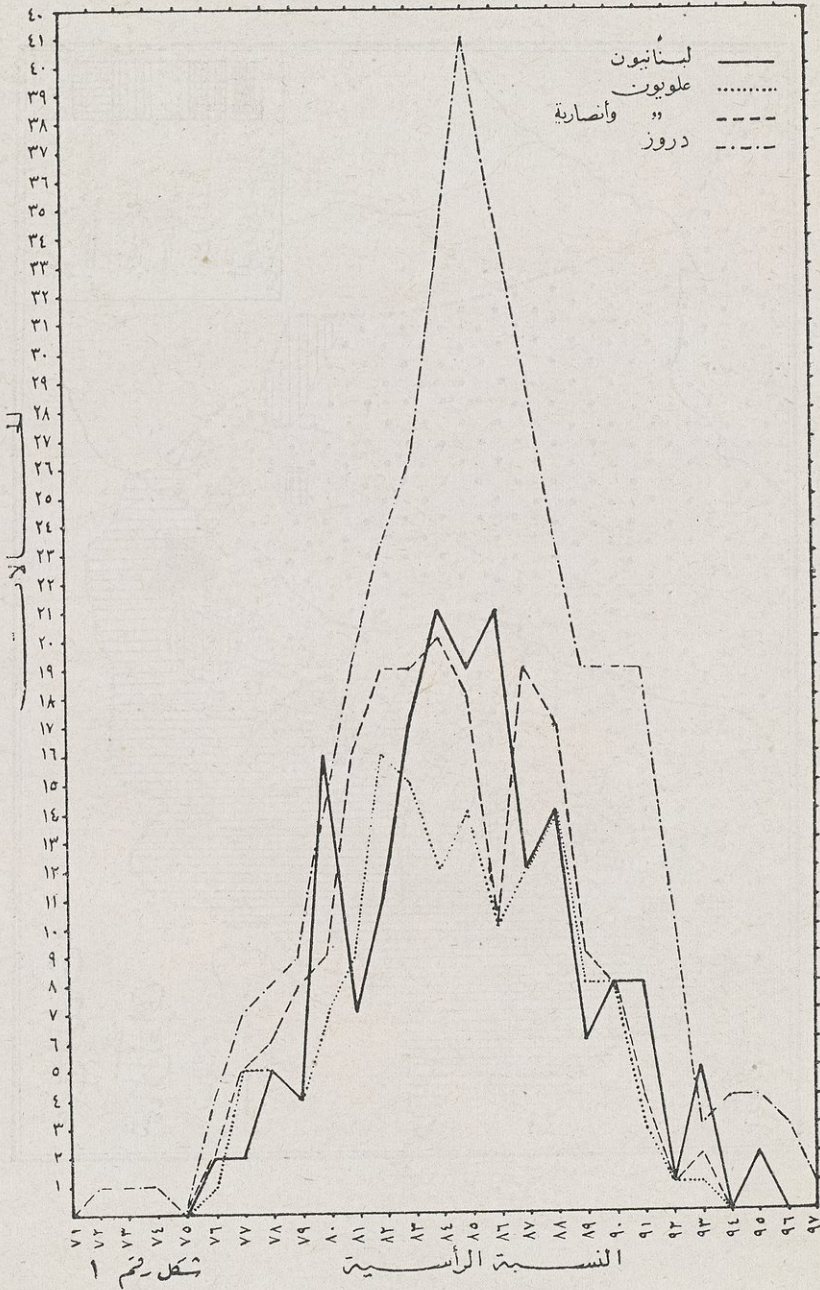






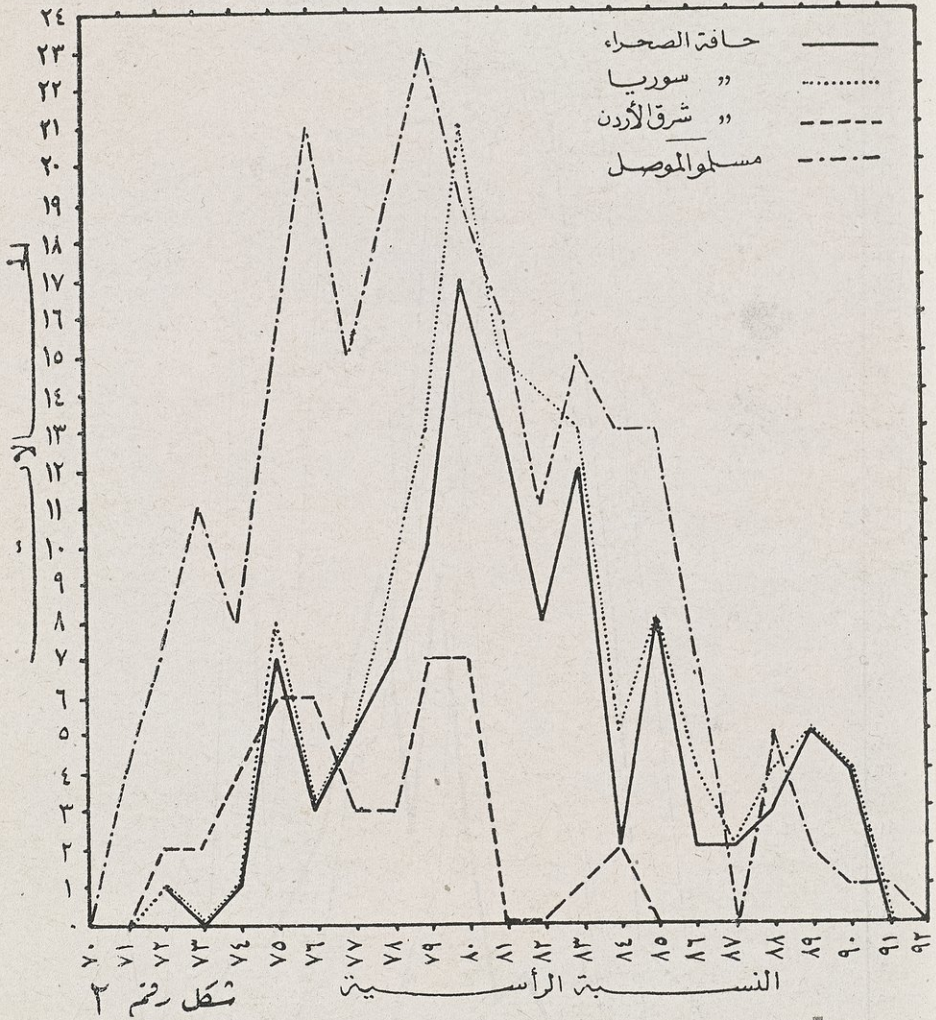


توزيع النسبة الرأسية بين الجماعات العرقية في سوريا ولبنان



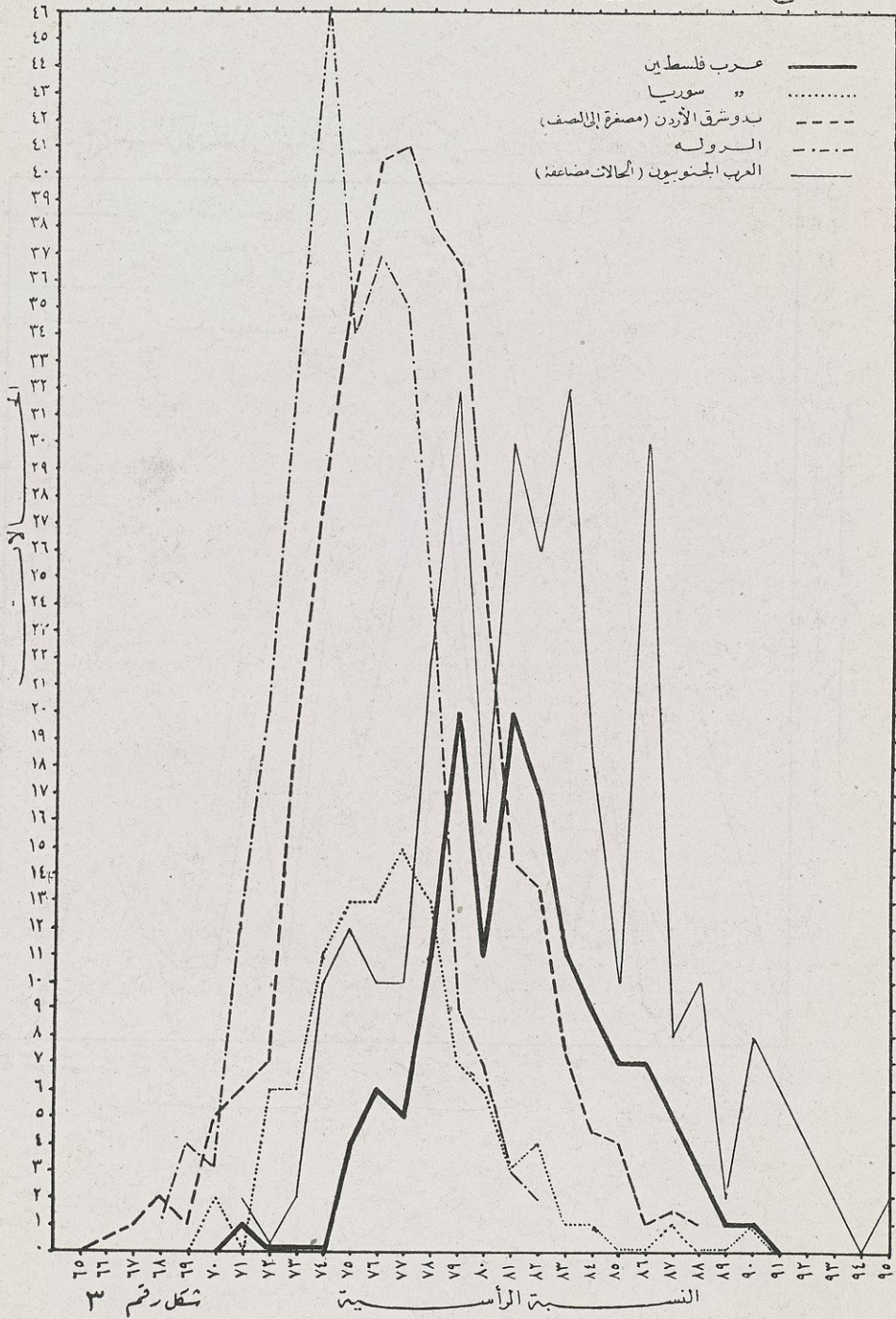


توزيع النسبة المئوية بين الجماعات التي تسكن الحافة الغربية للصحراء السورية



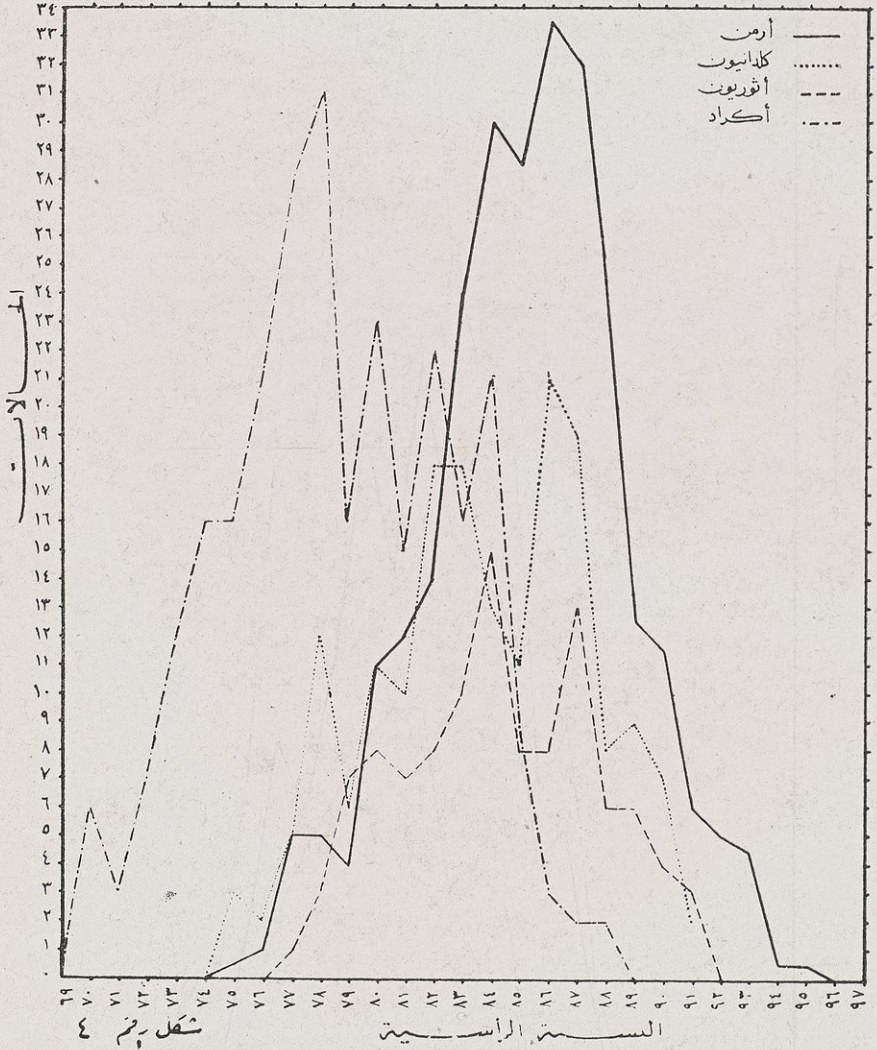


توزيع النسبة المئوية للجماعات العربية والبدوية وسوريا وشرق الأردن وفلسطين وجنوب الجزيرة العربية





توزيع النسبة الرأسية بين الجماعات النحسكن شمال العراق

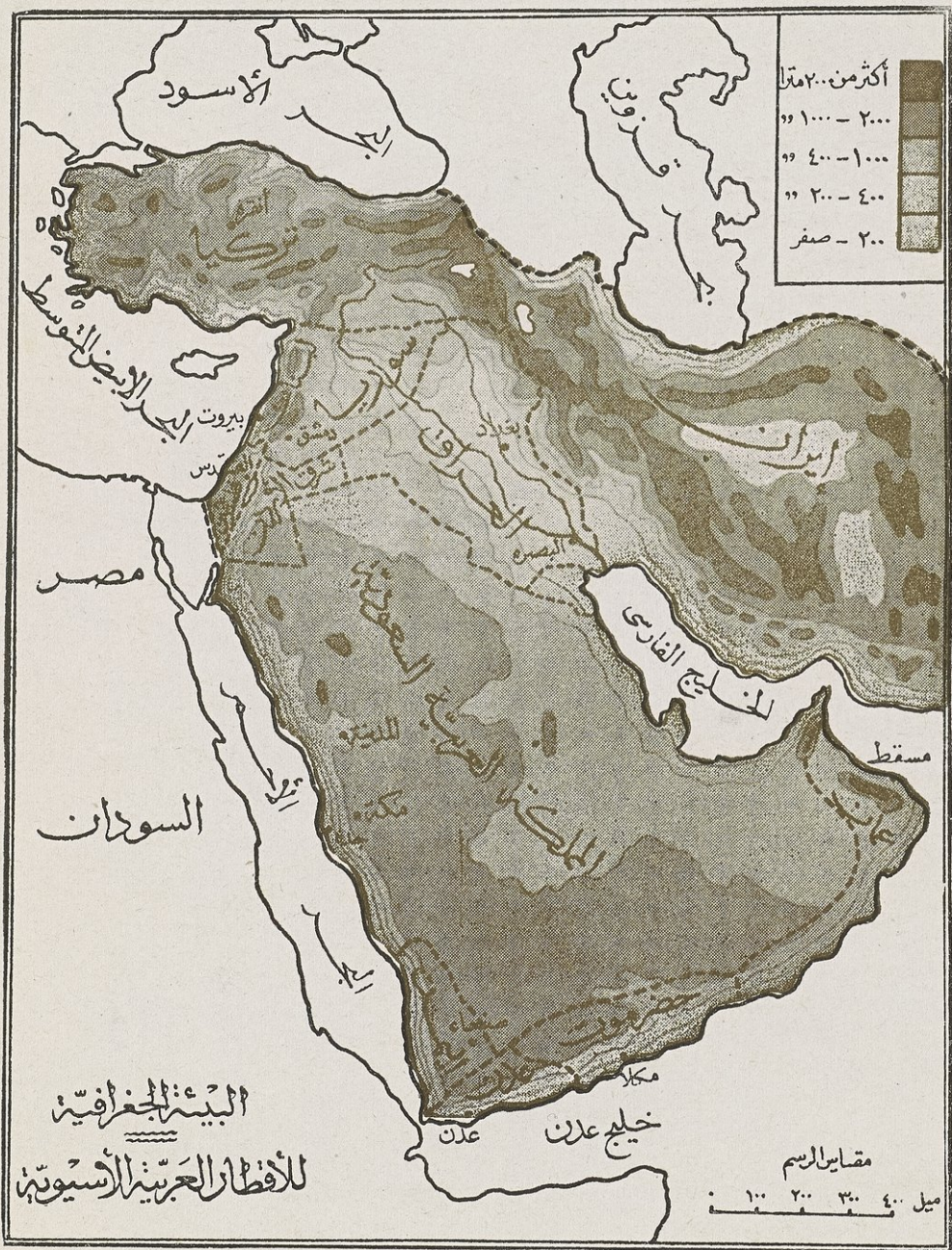




توزيع النسبة الرأسية بين الجماعات التي تسكن وسط العراق













# الحياة الاقتصادية في الاقطار العربية

## محاضرة الأستاذ سامي السراج

سيداتي ، سادتي :

تفضل قسم الخدمة العامة في هذه المؤسسة العلمية المباركة الخطوات والغدوات ، الريانة بحجم المعارف وشقي الأعراف ، فخصني بالدعوة إلى إلقاء بحث عن « اقتصاديات البلدان العربية » ظناً كريماً منه اني من مآهيل رجاله ، وحلق خبرائه ، فكان في الواقع ظن تسامح وكرم . ولقد وددت أن أرد نفسي عن هذه المهمة لأخلى بين هذا المنبر وبين من يعتلونه من أفاضل راجحي الوزن ، وافرى المسكنة ، كاملى الفطنة ، يحسن ألا يتخلل سمعهم الفريد باحث مثلى قصير باع كز متاع قليل إمتاع . لولا ان هنالك شرفا يغرى ويستورى ، شرف الامتثال لما قضى به حسن ظن الداعين ، والمثول أمام جمع من أكرم السامعين ، فرحت أهيب بحجتي عن بلاد باركت يد الرحمن ما بينها من وثاقة إخاء وأضفت عليها وفراً من القداسة والعلاء ، بلاد أنبت الله من أرضها الطيبة أكبر مجموعة من الهداة المصطفين والأنبياء والمرسلين ، فما انفكت أمم الأرض قاطبة تنظر اليها باهتمام بالغ يشمل ألوان نهضتها وجوانب يقظتها ، ناهيكم بناحياتها الاقتصادية شاغلة العنوان الدال على ظواهر نشاطها ، ومعالم أهليتها للحياة العامة ، تلك الحياة التي تمور آفاقها اليوم بنوازع التزاحم والتنافس ، والتقدم والاستباق ، وصولاً إلى الجوهر الفرد ، الذي هو مادة نشاط العصر ، وهو « الاقتصاد » .

وقد نكون على حق إذا نحن أرجعنا هذا الاهتمام البادى نحو اقتصاديات البلدان العربية الى ثلاث :

- ١ - موقع هذه البلاد الجغرافي بالنسبة لمسرى الاقتصاد العالمي المقبل .
  - ٢ - أثر الترابط الاقتصادي في تكوين مشخصاتها القومية .
  - ٣ - ما تهيا لها من وسائل انتعاش خلال نصيبها من حكم الذات .
- لا جرم ، ان كل مدلول من هذه المدلولات الثلاثة يوصى الى نوع معين من الأهمية ، تتمتع به أمصارنا العربية في دنيا الاقتصاد العام ، فبالنسبة لموقعها الجغرافي هي بلاد تتراعى بين ثلاثة



بحور، وثلاث قارات من أكثر قارات الأرض كثافة سكان . يفرض القانون الطبيعي أن تكون عوالم هذه القارات على اتصال مستمر لمقايضة ما فيهن من خامات متنوعة وإنتاجات متباينة تساوى بين الاحتياجات المتفاوتة فتؤدي مهمة الاستكفاء، وتعين على التواصل بين الإنسان والإنسان . فبلداننا العربية ما تبرح تؤدي إلى مدنات العصور وحضارات الأجيال خدمات جلي فرضتها عليها الطبيعة إذ أقامت منها جسراً موصلاً بين آسيا وأوروبا وإفريقيا وأسبغت عليها قيمة جغرافية بالغة الأهمية سواء من وجهة الرقي التصاعدي للإنسان أو من وجهة الاقتصاد الكوني العام . هذا بالإضافة إلى ما تميزت به من هبات الإخراج والإنتاج ومواهب التوليد والابتكار مطبوعة بالطابع الشرقي الذي ما يزال يعد من مظاهر الاتقان والاحسان .

فمن أبلغ ما ينهض برهاناً على أهمية الاقتصاديات العربية : تلك المدنات الشاحخة التي أنشأها السبأيون، والمعينون، والحميريون، في اليمن والبابليون، والآشوريون في العراق، والفينيقيون في الشام، والمصريون القدماء على ضفاف النيل، تلك المدنات التي كانت أطول لداتها عهداً وأثبتها على الزمان خلدًا، هل قامت إلا على تلك الخصائص والهبات ففاحت على الإنسانية عطراً وزهراً، وأفادت على الشرق نتاجاً وثماراً، مما يحلولى ولكم أن نستنشقه من لمحات التاريخ في تلخيص خاطف ملذ، يطالعكم بآيات بينات من مقومات مدناتكم الخالدات .

ففي اليمن : قد وصل علماء العصر الحالي المولعون بكشف مكنون الأخبار، وحل رموز الآثار، إلى كشف نحو خمسة آلاف نص يمني قديم هدتهم إلى معرفة الشأو الذي بلغه اليمانيون في مناحي السياسة والاقتصاد، والثقافة والعمران، والانشاء والبناء، وما أصابوا من براعة في الهندسة والزخرفة والملاحاة، وكشف مجاهل البحار، وفي تشييد الخزانات، الفخمة والسدود المانعة، حجياً للمياه في مواقيت، وأطلاقاً لها في مواقيت . تلك السدود التي أقاموها عند منتهيات الوديان في كثرة كاثرة حتى لقد وصفها شاعر منهم فقال مزدهياً مباهاياً :

وفي الربوة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً ترسل الماء سائلاً  
وكان قوله هذا منصرفاً إلى مكان واحد من أمكنة السدود وكان أشهرها وأعظمها سد مأرب، أفاض على اليمن من روافد خيره وفواضل بره، ما جعل المؤرخين يسمونها باليمن السعيدة، واليمن الخضراء، وجعل الأهليل في سعة رزق ورخاء، حال جاوزوها إلى السرف فالترف فبالغوا في اقتناء نفيس التحف، وثمين الاعلاق، وقدروى البهائة « جيان » أن سفن اليمن كانت وحيدة



زمانها في جوب أكتاف المحيط الهندي ، وأطراف البحر الأحمر ، وقد استنبط اليمانيون الاتجاهات من الشمس والكواكب والأفلاك . وذكر هذا البحاث أن قائد أسطول اسكندر المقدوني عندما وجه الى اكتشاف بحر الهند ، وجد العرب قد سبقوه اليه ، ووجد مدناً بأسماء عربية وألفاظاً عربية على أفواه السكان . وقد أصاب اليمانيون نجاحاً في التعليم والتجارة والزراعة ، ونصبياً من الخلق كصناعة الجواشن والسيوف المشهورة باليمانية ، وقماثيل البرونز ، وتحف العقيق والجوهر ، وزخرفة الخزف ودباغة الجلود ونسج البرود موشاة بالذهب ، وحظاً وافراً من تعدين الكروم ، والفضة والذهب ، ومعادن اقتصادية شتى ، ثبت وجودها لخبراء اليوم ، فتقدمت شركات كثيرة طالبة استغلالها ، ولكن امام اليمن الحالى يأبى منح امتيازاتها لغريب مخافة أن تطفىء مادة الاستغلال نور الاستقلال ، فتسوء عقبى الدار ، ولا بد من يوم تخرج فيه هذه الكنوز على أيد فنية عربية أو يد صديقة مؤتمنة ، فتطالع الاوساط العالمية بآثار حضارة زاخرة بالمعجبات .

وفي مصر : هل يغرب عن البال كيف أعان مركز مصر الجغرافى قدماء سكانه على انشاء حضارة من أبهر حضارات الكون ، جعلتهم يیزون أهل الدنيا في تركيز مقومات المدنية من براعة في فن العمارة ، ومهارة في أعمال التعدين ، وتفوق في اقامة الجسور والهياكل والمعابد والخزانات ، ومن نشاط في الملاحات النهرية ، والشاطئية ، وما نشروه من أضواء مدنية ساطعة الاشراق ، خالدة على وجه الزمان .

وفي الشام : إذا اثنيينا الى مدينتها ، أرتناظواهر نيرة من نشاط منقطع النظير ، فهي لم تقف عند الذى قسم لها من رقى في هندسة المياه ، واختصاص بثروة الاشجار المثمرة ، وتعميم للغابات المورقة ، وأن اليونانيين قد أخذوا عنهم في القرن السادس قبل الميلاد زراعات الزيتون والنخيل والاعناب ، بل جاوزت هذا الأفق من النشاط الى نقل حضارة الشام الى العالم البعيد ، فأنشأت السفن الضخمة . وجاب أنبائها حوض المتوسط دانيه وقاصيه . وشقوا عباب المحيط الاطلسي قريبه ونائيه ، فقال المؤرخ شارم ان من حق سوريا علي العالم أن ينظر اليها بلاداً مؤسسة للتجارة ، وأول من أنشأ سفن النقل عبر القارات المترامية وراء البحار . فامتاز السوريون بنزعة التجارة وحب الاغتراب ، وركوب متن المخاطر والاسفار ، رغم أن قطرهم وافر الخير أصيل الثروة مشهورة معادنه مكتظة بالغلال حواصله ، ريانة ببواعث السخاء أغواره ووهاده ، تنهادى ببواثق الشجر جباله وآكامه ، وتزدان بكثيف الغابات حزنونه وهضابه ، وكل هذا من مصادر الثروة الاهلية ذات الشأن



أما العراق : فقد تجمع له من حضاراته ميراث ضخم استمدت عناصرها من مميزات تربته وما توافر فيها من قوة امراع واخصاب . فاذا ارتفعنا مع تاريخه صاعدين الى عهوده الأولى ، قابلتنا أمجاد مترامية ، ومدنيات متوالدة ، هي رموز لما كان عليه من رقي فكري ، وإشعاع عقل ، وإشراق معرفة ، فمن أفق العراق انسرح الذهن البشري للتفكير في شأن الفرد ، وشأن الجماعة ، وما بين الشائنين من واجبات ، فكان نتاجه شريعة حمورابي ، واضعة القواعد الأولى لتهديب المجتمع . ومن شاطئ دجلة انبعثت الآية الزاخرة بمغنى الثقافة والمعرفة تلك الآية القائلة « ان من يحذق الكتابة على الآجر يتألق تألق الشمس رأد الضحى » .

وكانت في عهد السومريين بالعراق أول محاولة لحفظ القيود والسجلات على طريقة الرسم برأس القصبه فوق اللبث الطرى يترك للشمس حتى يجف فيصطب ليحفظ ما رسم عليه ككتاب مسطور . ثم كانت أول محاولة لدعوة القبائل الى السكنى قرب الحواضر إغراء لهم على استغلال خيرات الأرض .

أليس هو العراق الذى نزله للافادة من كنوزه ورافده أشبات الأمم كالسومريين ، والأكاديين ، والعموريين ، والعلاميين والبابليين ، والآشوريين ، والكلدانيين ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، فكان مزدهم الأمم ومهبط الأقوام طلباً لخبراته ، أليس هو العراق صاحب العهد الذهبى الذى ورف فيه سلطان العباسيين ، فبما الدخل وازدهر الملك ، حتى غدت سحابات الغيث لا تهطل في موطن ذلك الملك الرخى ، إلا ليعود خراجها الى خزائن العراق . هذا ولا يزال العراق يحفظ بمجموعة نباتية ثمينة لأنواع وفصائل من الغلات ، كانت جاءت من حضارات الأمم الماضية ، فبادت تلك الأمم ، وبقيت هذه النباتات حية على كثر القرون ، تستمد بقاءها من صلاح التربة ، ومميزات الارض ، وقد قال بعض المؤرخين « ان العراق حقيق أن يعد الوطن الأول لأهم حاصل غذائى للانسان ، إذ كان مخزن الشرق الأوسط للغلات . ووصفه هيردوتس وصفاً مستفيضاً ، ثم خشي أن يرمى بالغلو ، فأكد أن خصب الارض بالعراق فوق كل غلو وإغراق . وقارن مؤرخون محدثون بين انتاجه ماضياً وإنتاجه تالياً ، فذهبوا الى رجحانه في العهود الاولى ، إذ استغل ناس القديم كل قطعة أرض قابلة للزرع . واستعملوا الانماء المحصول ورعاية الخصوبة أساليب كفلت لهم الحصول على ثلاثة محاصيل فى السنة . وما تزال آثار الترع التى شقوها شاخصة حتى الآن تنطق بمقدرة فنية وبراعة فى هندسة الرى لم تشاهد



أوروبا مثلها إلا في القرن السابع عشر للميلاد . وكان في شرائعهم ان الأرض لا تعطى الا لقادر على استغلالها، مع معاقبة إذا أهمل حرثها، وإعفائه من أجر السنوات الثلاث الأولى وإجبار المالك على ألا يستوفى أجراً عن أرض يؤجرها لغرس النخيل الا بعد انقضاء أربع سنوات يتم فيها الغرس ويبدو الغراس .

وظل هذا الازدهار يسود العراق حتى قبيل الفتح الاسلامي، إذ فاض دجلة فيضاً مدمراً جرف السدود والترع ومرافق الزراعة، ثم أدركها عهد عمر بن الخطاب فأعاد المنشآت، وعمر السدود، فبلغت المساحة المزروعة في زمنه، ما يغل مقدار ٣٦ مليون جريب أى ما يساوى ثلاثة ملايين فدان، وبلغت الجباية عنها نحو مئة مليون درهم .

سيداتي، سادتي :

من هذا العرض الموجز لتاريخنا الاقتصادي، تبيينون قيمة اقتصاديات هذا الشرق العربي، ومدى الارتباط بين الماضي والحاضر، ومسيرها معاً في موكب المستقبل، على أسس تتجدد بتجدد الأزمان والأحداث .

معالم الوحدة : فالواقع الذي لامرأ فيه، ان الطبيعة نسجت من أجزاء هذا الشرق العربي « وحدة اقتصادية » كاملة الأوصاف والمزايا متحدة المقومات والمشخصات ذلك ان العوامل الجغرافية المؤثرة، والهبات الاقليمية المتميزة، وما بين هذه الأجزاء من إرث تاريخي، ومشاركة اجتماعية، ومشكلة في العادات، والميول، والأذواق، والأزياء، وما يتلو ذلك من اتصال الحد بالحد، والأديم بالأديم، وتنوع في خصائص الارضين، وتفاوت في درجات الحرارة واختلاف في قابلية الانبات من شأنه أن يشد روابط هذه الاقطار شداً محكماً، ويجعلهن حلقة اقتصادية مفرغة، صنع الله الذي أتقن كل شيء .

فمزايا الأرضين، ترينا كل قطر في الشرق العربي يختص بميزات يتفرد بها عن أشقائه تفرداً يفرض المبادلة والمقايضة بين الأشقاء فرضاً ملزماً . فصر مثلاً ذات سهول منبسطة منضرة برى دائم، يعقدقه عليها نيل مبارك الروحات، لا يكثر في اغداقه طوال فصول السنة، وهي ذات شمس ساطعة الضوء، بادية الاشراق، تساعد على سرعة الادراك، والقطاف، مع كثرة الوفرة والمحصول، بينما بلاد الى جوارها، تمتد نحو الجنوب والشرق، ونعني بها بلاد الشام فلسطينها وأردنها ولبنانها وسوريتها الداخلية، بما فيها من غوطات ورساتيق، واغوار، ونجود، وجبال مشمخرات، وغابات



ملتهفات هي أصقاع قليلة الدفء ، مكفهرة الشتاء ، مبرقة السماء ، يوافيها الغيث بمقدار قد يكون فيه غناء ، وقد يكون منه عناء ، وهنا تظهر ثمرات زراعتها مبعثرة على العواصم مستأنية تارة ، ومتأخرة تارة ، في حين أن زراعات مساقط النيل تظهر رتيبة مبكرة ، وبيننا العراق كذلك لاهب الشمس في الجنوب ، قاصرها في الشمال ، ينضج أجود ثمرات العالم ، وأطيب الغلات ، تنبجس من ينابيعه ملايين الاطنان من الذهب الاسود السائل فتتغنى ميزانية العراق بجمال رفده ، وجمال قده ، ذلك المعدن الزنجي ، الذي أصبح معشوق الدول ، لأنه المعدن الذي في كثير من الدول لا يجدونه ، والسود المحبب الذي في أرضهم يفقدونه ، ألا وهو النفط سيد العالم اليوم .

ان ذاك التفاوت في مواقيت الانتاج ، وذيالك التنوع في طبائع الفجاج ، يجعل كل بلد عربي مكلا لجاره ، ويخلق من الجارات جميعاً وحدة اقتصادية تكفل ما اشترطته التجارة ، من يسر في الوقت ، وسرعة في النقل ، وقلة في الاكلاف ، وتلك دعائمها الأولى .

إذن لقد اصطلحت الطبيعة نفسها على تكوين هذه الوحدة ، ودعمتها بمجماع مؤثرات المصلحة المشتركة ، عدا عوامل أخرى روحية ، وخلقية ، أحدثت مشابهة في المستوى الفكري ، والمستوى الذوقي ، عند جميع سكان الشرق العربي ، يفترق قليلا ويتحد كثيراً على أشد ما هو متحد في الامم الكاملة التكوين .

وهل يفوتنا هنا أن نذكر في معرض التدليل حقيقة قرررها بعض علماء الأجناس ، فقد أكدوا وحدة الجنس بين أقوام غرب البحر الاحمر وأقوام شرقه ، فقالوا عن هذه الوحدة انها عريقة في القدم ، تأصلت منذ تطور المناخ الجوى بين الحد الأقصى للرطوبة والحد الأقصى للجفاف . كما قرر سياق التاريخ أن الزخوف الى الشرق أسيوية كانت أم غربية ، قد اتفقت على اعتبار بلاد الشرق العربي وحدة . فاذا أغار مغير من الشرق فامتلك بلاد كندا والشام ، سرعان ما يهرع نحو وادي النيل يمتلك مراحه ومغانيه ، ومرافقه وثغوره ، تكملة لفتحته الاقتصادية . وعلى النقيض إذا زحف زاحف من الغرب نحو مصر لا يعد زحفه ناجحاً إلا حين ينشمر صوب الشام فالعراق يمتلكهما للقصد ذاته . كان هذا رأى العالم القديم وها هو ذا رأى العالم الجديد يتبدى خلال هذه الحرب الدائرة ، فقد أرتنا خطة الدفاع عن مصر مبتدئاً من مراكش غرباً الى أقصى العراق شرقاً ، ومن الشاطئ الهندي جنوباً ، الى بلاد الاناضول شمالاً . كما أرتنا مصالحة الجيوش اقتضاء انشاء إدارة موحدة لضمان الميرة ، والمثونة لسكان الشرق الاوسط والفيالق التي فيه على



قواعد التبادل بين أقطاره ، وعلى هدى الناموس الطبيعي الذي لا تتغير موجباته . وكل خطأ اقتصادى وقع فيه الشرق كان منشأه الخطأ السيامي فى فصل أشطاره ، وتبضيع أقطاره ، وتنويع أفكاره . وما علاجه إلا وحدة النظم الاقتصادية بين هذه الأصقاع ، وانها لا منية توشك أن تتحقق فى ظل فاروقنا العظيم على وجه يبعث مراى جده الكبير الذى اتجه بقلبه وسيفه الى تحقيق حلم الأجيال فاستلحق السودان وبلاد الجزيرة واثثنى نحو الشام ، فأقبات منقادا الى جيش ابراهيم وهدفها هدفه ، من إقامة وحدة مندوحة فى أمة متمازجة يسودها نظام اقتصادى عام . وهاهو الحفيد الأعظم يعمل عمل جده الا كبر على هدى الحق والرشاد ، حيا الله الفاروق .

سيدتى ، وسادتى :

لقد آن لى الآن - بعد إلماعى الى نصيب بلداننا العربية فى التعاون الاقتصادى الانسانى وخدمة الحضارات ، والوضع التكوينى الذى خلق منها وحدة هى تراث الماضى وثروة المستقبل - لقد آن لى أن أنقل بكم الى بحث أوضاعها الاقتصادية الحاضرة فأقول : لم يكن للبلاد العربية حتى ختام الحرب الماضية وضع منفرد يمكن أن يتناوله الباحث ، فقد كانت هذه البلاد ولايات ومصرفيات تابعة للدولة العثمانية مندوحة فى اقتصادها العام . وإذن لم تكن لها نظم اقتصادية خاصة تتكيف بأشرافها على شئون نفسها كما هي الحال فى الأمم الأخرى . فكان الفرد جزءاً من آلة الدولة التى تسيطر على مجموع الأجزاء وتوجهها إلى غرض الدولة العام وهو حفظ سلطانها وتوطيد هيمنتها فيما ترى استبقائه أو استلحاقه من أوطان . وكان الفرد والحالة هذه بحاجة إلى أمان من الزمان ليستعمل فى صناعته أو تجارته أو مهنته ما يستعمله الأمان المطمئن من نشاط وكد وتوسع وامتداد . فلما لم يجد من زمانه هذا الامان ، وكان جهاز الدولة متحركاً فى دائرة الغزو والدفاع ، وتجهيش الجيوش وذراءهاتهن ، ظل الفرد قلقاً منهوب الطمأنينة مسلوب الاستقرار يدور فى محيط حركة الجهاز دوراناً آلياً لا تجدى فيه أعمال الفكر أو تحويل الطريقة أو تعديل الاسلوب . وبذلك حرم رجل الشرق العربى من الركنتين الرئيسيتين لنشاط الصناعة والتجارة ، وهما اطمئنان العامل الى زمانه وحرية من دورانه ، كما حرم الشرق العربى ذاته من ذاتية دولية تعلو الحواجز فى طريق الوارد الأجنبى ، وتمنح المصادر الوطنى شتى التسهيلات والمعونات ، لتربو الثروة الاهلية وتزيد . ثم بدأ أن يكون للبلاد العربية شأن اقتصادى خاص منذ أن انفصلت عن الدولة التركية وأصبح لواردها وصادرها إحصاء تعرف أرقامه



وتحصى أيامه . ومهما يكن من أمر القيود التي فرضت على هذه البلاد ، وما قام بغية التحمل منها ، من ثورات وقلاقل ، فالواقع ان الحال الاقتصادية أخذ سبيله الى التكون فالظهور مطبوعاً بطابع البلاد نفسها ، ولو لم يكن بإشراف أهلها . وبذلك كان الاقتصاد طيلة ربع القرن الماضي متصلاً بالسياسة ومنفصلاً عنها بعض الشيء ، متأثرة بالتطور العالمي بعد الحرب المنصرمة ، سواء في التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو في حركة التصدير والاستيراد .

ولما كان العالم تلك الفترة في شبه ثورة صناعية ، إذ انقلبت معامل الحرب الى معامل انتاج وإخراج ، دبت الحركة في أوصال الشرق العربي ، فكثرت استيراد الآلات من الغرب ، وطارت بعثات الطلاب اليه تتلقى علوم الميكانيكا وهندسة الآلات ، فما مضت سنوات حتى استعوض عن السواقى بالمكائن الرافعة للعياء ، وتحولت المغازل والمناسج اليدوية الى دوران بالكهرباء ، وحل الأسلوب الحار محل الأسلوب البارد في صناعات الصابون ومعاصر الزيتون والمطابع ، وعم الرى الأرضى المرتفعة عن مسايل المياه ، فصعد الانتاج الزراعى والصناعى صعوداً لافتاً للأنظار . مثال ذلك ما قدمته لنا إحصائيات العراق لسنوات ما قبل هذه الحرب ، فقد قررت أن زيادة الغلات كانت سنة ١٩٣٥ من الشعير وحده بمعدل ٣٥٩ في المئة عن مثله سنة ١٩٣٣ ، ثم صعدت الزيادة مرة أخرى سنة ١٩٣٦ فكانت بمعدل ٢٧٣ ٪ عن مثيلتها في السنة السابقة ، كما أشار الإحصاء إلى مضاعفة الوارد سنة بعد سنة وخصوصاً في مواد الحديد والآلات والمكينات المجلوبة ، مما جعل الصادر العراقى يرتفع عاماً فعاماً بنسبة عالية توىء إلى توسع الانتاج . فقد كانت صادراته سنة ٣٣ / ٣٤ بقيمة ٢٨٧٤٠٠٠ دينار فارتفع في السنة التالية الى ٤٣٠٠٠٠ ، وفي سنة ١٩٣٧ الى ٥٥٦٩٠٠٠ دينار . ومن الامثلة أن القطن لم تكن له في العراق وسوريا زراعة تذكر فراحت تتسع فيهما معاً ، فأصدر العراق منه لليابان سنة ١٩٣٧ ما قيمته ٢٠٤٠٠٠ دينار ، كما بلغت مساحته المزروعة في سوريا ٣٢٨٤٠ هكتاراً أخذت في الزيادة . وقد دخل القطن في عداد الموارد المستجدة في كلا القطرين ، أما إحصاءات سوريا فقد أرتنا علامات أخرى على نشاط حركتها الاقتصادية انها أصدرت من الصوف وحده سنة ١٩٣٧ ما قيمته ثلاثة ملايين ليرة ، يقابلها قيمة ١٢٤٦٠٠٠ ليرة لصادرها منه سنة ١٩٣١ ، وقد كان واردها سنة ١٩٣١ بقيمة خمسين مليون وصادرها بقيمة ١٢٠٠٠٠٠ ، أى بعجز قدره ٣٨ مليون ليرة سورية ، فلما جاءت سنة ١٩٣٦ صعد صادرها الى قيمة ١٦ مليون وهبط الوارد الى ٢٨ مليون ، وبذلك نزل العجز



الى ١٢ مليون بدل ٣٨ مليون، كما دعمت حالتها الاقتصادية بأعمال إنشائية طيبة الاثر، إذ قامت بتوسيع روافد المياه وتوليد قوى كهربائية، أقيم ايصال المياه من مقاطع نهر العاصي الى ما يروى مساحة ١٥٦٠٠ فدان بين نهر الليطاني ما أصبح يروى ٩٠٠٠ فدان، وقد أوشك أن يتم توسيع مياه نهر بردى الذى يسقي بساتين دمشق وغوطها الكبرى ويقدم لها قوة كهربائية كافية للانارة وتيسير المحركات .

ومعظم الارقام يشير إلى تقدم الاقتصاد الوطنى فى أمصار الشرق العربى ونشاط حركتها التجارية، سواء ما كان بينها وبين البلاد الخارجية، أو ما كان بينها وبين البعض الآخر، ولا عبرة لصالح هذا القطر أو ذاك فى الميزان، بل العبوة فى أن التبادل بينهما يمضي فى مستوى عال على أن مآلاته البلدان العربية من نصيب فى تقدم الانتاجات الزراعية والصناعية وارتفاع الصادرات لا يزال غير واف بالمرام، فقد لبث ميزانهم مع الخارج فى عجز ظاهر إذ يزيد واردهم منه عن صادرهم اليه بمعدل يتراوح بين ضعفين وثلاثة، وهن يغطين هذا العجز من إرساليات المهاجر المالية وما ينفقه السياح والمصطافون والجيوش، أو من الهبات الخيرية والتبشيرية، كما هى الحال بالنسبة للبنان .

ولعل من أهم أسباب العجز، شبكة الحواجز الجمركية التى أقيمت فى البلدان العربية فسدت مجارى تجارتهم وحالت دون عقد اتفاقات تجارية على أساس التسامح والمودة وتبادل المنفعة، عدا ما نشب فى جوانبهم من ثورات وفتن وعدم استقرار فى نوع الحكم وفى هيئات الحاكمين . كما حيل دون أن يتولين سن اشتراطات لحماية صناعاتهم وتجارتهم بما يجب من خفض رسوم وإعلاء رسوم وفرض ضرائب لا يعفى منها الأجنبى دون الوطنى، وبما يتعين إحداثه من النظم وفق الغرض الذى يحمى فى مصلحة البلاد . وليس أحد يستطيع تحديد هذا الغرض مثل أصحاب الشأن الأول .

أما فى الجزء الجنوبي من بلاد الشام، ونعنى به المنطقة المسماة بفلسطين، فقد نهضت تجارتها وصناعاتها وزراعتها نهوضاً يسترعى الانتباه، فلقد بلغ ورق النقد المتداول فيها حتى سبتمبر سنة ١٩٣٥ نحو ٧ ملايين جنيه، أصاب الفرد منه ٦٣٠ قرشاً، يقابلها ١٢٦ قرشاً نصيب الفرد بمصر فى التاريخ ذاته، وبلغت واردات ميزانية تلك السنة ٥٦٠.٠٠٠ جنيه بزيادة مليون جنيه عن سابقتها، فكان هذا عنوان زيادة الدخل ومضاعفة الانتعاش . لولا أن سنة ١٩٣٧ جاءت



بنقص مليونين ، وسنة ١٩٣٨ بنقص ثلاثة ملايين من الجنيهات بسبب ماعرا البلاد من اضطراب وفاق أوجبا للرافق العامة شللا ظاهراً . على أن ذاك الانتعاش لم يكن مرتكزاً على قواعد اقتصادية ثابتة ، بل على عنصرين طارئین هما رسوم الهجرة ورسوم بيع الأراضي . وكلا السببين قد أدى إلى إيذاء الاقتصاد الوطنى ، إذ أفقد البلاد نعمة الطمانينة ، وهى خبيرة الأرض ، باقحام قوم دخيل على قوم أصيل ، فكانت الفتن وكان انعدام الرخاء ذاته لأنه لم يكن مستنداً إلى أركان الاقتصاد .

أما فى المملكة السعودية فالوضع مختلف فى الشكل والجوهر . لقد كانت هذه البلاد تستورد من الخارج معظم احتياجاتها نظراً لفقر إنتاجها الزراعى والصناعى وضعف مادتها التجارية ، إذ ليس فيها غير صناعات يدوية بدائية من نوع ما يصنعه المرء لنفسه أو العائلة لسد احتياجاتها ، كصناعة الأبسطة والعباآت والاخراج والاعدال وما أشبه ، فلم تتميز تلك البلاد الى بضع سنين خلت إلا بشيء واحد هو انسياب النقد اليها من كافة فججاج الارض عن طريق الوافدين لأداء فريضة الحج . ويقدر ما يتركه كل حاج فى البلاد بمئوسط عشرين جنيهاً ، ومجموعه بليونى جنيه . الا أن هذا النقد المنساب يعود ادراجه الى الخارج ثمناً لأقمشة مصنوعة ، ومواد غذائية ، وأدوات معدنية وأدوية ، وسيارات ، وما الى ذلك ، لكن هذه المملكة تميزت أخيراً عن شقيقتها برفق من أعظم مرافق الاقتصاد على الاطلاق . وهو الاستقلال المطلق ، فقد أتاحت لها نعمة الاستقلال توسيع الزراعات المختلفة فى مناطق عسير والاحساء وخصوصاً منطقة الخرج ، حيث يجرى استصلاح مساحات تقدر بعشرة آلاف هكتار ، وتهيئة الادوات والمكينات اللازمة لريها مع جهد واسع لتحسين أنواع المحاصيل البسيطة ، كالزمان والبطيخ والموالح والخضروات ، وإنتاج أنواع من القمح الجيد والشعير والاذرة والشمش والاعناب ، كما أتاحت لها استقلال معدن البتر فى مهد الذهب ، ولجرت لها مادة النفط من عدة أماكن بواسطة من استقدمتهم من مهندسين وأخصائيين ، فأنشأت مغامل لتكريره وتصفيته ، وقد ضاعف المسئولون نشاطهم فى حفر الآبار واستنباط البترول حتى غدت بئر واحدة من هذه الآبار تغدق من النفط فى اليوم الواحد ما يملأ نحو ٢٠ ألف برميل أو يزيد . ولقد حدثنى كبير فى المملكة السعودية عن سعة وفرة هذا النفط المبارك ، فقال إن بئراً واحدة من الآبار المكتشفة تكفل من اخراج يوم واحد حاجة كل سكان المملكة من البترول ومشتقاته لعام



كامل . وقد أخذت الشركات الأميركية تهبي مشروعا من أضخم مشروعات العالم يرمى الى اقامة معامل ومصافي لتكرير نفط الاحساء والبحرين والكويت تستطيع بها تكرير ٢٥٠ الف برميل في اليوم ثم انشاء أنابيب توصل البترول المصفى الى حوض البحر المتوسط عند ثغر الاسكندرية، فبارك الله استقلال هذه المملكة ، وبارك استقلال معدنها السيل ، وحيا مليكها الرئبال

#### حضرات السيدات والسادة

لقد تجنبت ايراد الارقام وسرد الموازنات لجودها وعسر هضمها عن طريق السماع ، الا ما أوجبه الاستشهاد لاثبات حقيقة ودعم برهان . ولان المامة كهذه لاتتسع لأكثر من الالماع الى المقاصد الآتية

- ١ - استذكار مجدنا الاقتصادي الذي طوته العصور والاحداث .
- ٢ - ما يتركه في نفوسنا وحى هذا الاستذكار من وجوب متابعة واستمرار .
- ٣ - ما تتمتع به بلاد الشرق العربي من قيمة اقتصادية عالمية .
- ٤ - حاجتنا الى الاستقلال نحمل به اقتصادياتنا فتمضى صعدا نحو الرقى .
- ٥ - حاجتنا الى التنظيم الاقتصادي بما يمكننا من مجارة الاقتصاد العام .

سيداتي سادتي .

ان وطنية الشعوب صنفان . اعتقادي وعمل ، فعمل بغير ايمان ، لهو وبهتان وايمان بغير عمل موت ، على مهل . علينا أن نصل حلقة الماضي بحلقة الحاضر ليصبح لنا القول .  
هناك المجد معقود الاواخي وثم المجد مضروب القباب



## مكانة المرأة في البلاد العربية

لحضرة صاحبة العصمة السيدة هدى هانم شعراوي

سادتي ، سيداتي :

دعاني جناب الاستاذ الدكتور كيلاند، مدير قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية، إلى إلقاء كلمة عن ( مركز المرأة في البلاد العربية ) ، ولما كان شأن المرأة في كل بلد يهمني، ويطيب لي التحدث فيه ، شكرت لجناحه حسن ثقته بي واهتمامه بأمر المرأة العربية ومركزها الاجتماعي الذي كرسه حياتي لخدمته - ولبيت شاكرة دعوته رغم ان حالتي الصحية ما كانت تسمح لي ببذل أى مجهود فكري - فمعدرة إذا كنت لم أستطع وفاء الموضوع حقّه، وإذا لم تساعدني صحتي على إلقاء كلمتي بنفسى ، وانى إذ أنيب في القائها حضرة السكاتبة الفاضلة، والمحاضرة البليغة الاستاذة أمينة السعيد ، لوائقة من أنها سترج بالقاءها، أضعاف ما كانت تربحه بالقائى .

سادتي ، سيداتي :

إذا توخينا الصراحة في تقرير الواقع حاولنا عبثاً تحديد مركز المرأة وإثبات مكانتها وحقوقها في أى بلد وبالأخص في عصرنا هذا - عصر القرن العشرين العجيب المليء بالمفاجآت الخاطفة والتقلبات السريعة - هذا العصر الذى قام على تفديس المادة وإنكار حقوق الانسان وحرياته وتبجيل القوة الغاشمة - عصر الاختراعات الهائلة التى أنتجتها قوة العقل البشرى، وسخرها الرجل في الهدم والتخريب بدل البناء والتعمير من أجل مطامع سياسية رخيصة ، وزج بالمرأة في ميادين الحرب رغبة أو راحة موهماً إياها انها بهذه المشاركة قد نالت كل شئ وفي الحقيقة انها لو خيرت بين حقوقها وبين سلام العالم لما ترددت في التنازل عن تلك الحقوق لانقاذ البشرية من كوارث الحرب ومصائبها .

سادتي ، سيداتي :

يظن الناس ان المرأة الأوربية بخوضها غمار هذه الحرب بجانب الرجل قد نالت حقوقها السياسية كاملة، وفي الحقيقة انها سيقت الى هذا الميدان ، كما يساق الجندى، خضوعاً للأحكام العسكرية، دون استشارتها في إشعال نارها - وانى لأرى في هذا نوعاً جديداً من الاستعباد ، ويؤيد قولى



هذا تلك الضجة التي أثبتت في إنجلترا وكندا في هذا الشأن ، وما تقرأه حالياً في بعض الصحف من أن المرأة الاوربية يجب ألا تظن انها بذلك قد وصلت الى كل شيء ، بل عليها أن تعود الى بيتها وأولادها بعد أن تضع الحرب أوزارها - وهكذا أيها السادة شأن الرجل مع المرأة في كل العصور ، يدينها وقت الحاجة اليها ، ثم بعد ذلك يقلب لها ظهر المجن - وسترون أنها رغم اشتراكها في الحرب فعلياً ، لن يؤخذ رأيها في إعادة تنظيم العالم بعد انتهاء هذا النضال العالمي .

سادتي ، سيداتي :

ان عظمة كل أمة إذا كانت تنسب لكفاءة رجالها ومقدرة أبنائها ، إلا أن مقياس تلك العظمة وينبوع تلك المقدرة هي المرأة ، واضحة الحجر الأول في أساس المجتمع ، فهي المنجبة ، والمربية ، والمحفزة لهمم الرجال ، هي الأم التي وضعت الجنة تحت أقدامها ، وقال فيها العلماء والمفكرون النزيهون أقوالهم الخالدة ، مثل ييكسنس فيلد الذي قال « المرأة هي روح الانسان التي تجعله يقول ساً كون عظيماً ، ولكن عطفها هو الذي يجعله غالباً عظيماً » . أو كيشليه الذي قال « من القواعد المقررة ان عظماء الرجال يرثون عناصر عظمتهم من أمهاتهم » . ولما سئل أمرسون ما هي الحضارة ، قال « هي نفوذ النساء الطيبات » . ومع ذلك نرى معظم الرجال يسرهم إنكار هذا الفضل ، وعدم الاعتراف للمرأة بحقوقها في المساواة ، لاعتقادهم بأن الرجل ينوقها عقلاً وقوة . ولا ثبات نظريتهم استندوا على أنجاث بعض العلماء والفلاسفة في تكوينها وتركيبها . وكما سرهم أن تمحضت تلك الابحاث عن زيادة بعض جرائمات في وزن جسم الرجل ونحوه وقلبه ، وبذلك قرروا ان المرأة أقل من الرجل قوة وإدراكاً وعقلاً . ونسوا ان هذه الفروق ناتجة عن حالتها العيشية ، وما تحملته في القرون الماضية من الاجحاف الذي نزل بها والضغط على حرياتهما ، وانها ظلت أجيالاً متتابعة قابعة في عقر دارها ، محتقرة من الرجل ، صاغرة لأوامره ونواهيه ، هذا فضلاً عما حملتها به الطبيعة من أعباء مرهقة . هذا وفي حالة ما إذا خالف الواقع تحليلاتهم وتقريرهم المفرضة ، وظهر في بعض النساء من القوة والتفوق والنبوغ ما يضاهاى قوة الرجل ونبوغه ، ويخالف أوصافهم لها ، اعتبروا ميزاتها شذوذاً ، ونبوغها فجوراً ، ورموها بالخداع والغدر والخيانة . وبلغ بهم الظلم والجور الى قتل بعض النساء النابغات كجان دارك ، وأباتيا الفيلسوفة الشهيرة بحملها وعلوها وأدبها وعفتها التي تبوأ أعلى مركز في كراسى التدريس بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٠ ، فأثارت غيرة معاصريها من العلماء والفلاسفة ، فحرض بطريك الاسكندرية ( سيريل ) الشعب عليها .



فانتظروها أمام بيتها ، وهى راجعة من الجامعة ، واتفقوا عليها ، ومزقوها إرباً ، وطافوا بلحمها فى المدينة ، ورموه للكلاب . لأنها تجرأت وقامت بدعاية لمبدأ علمى جديد .  
ساذقى ، سيداتى :

ظلت الأمم القديمة فى مختلف العصور تستعبد المرأة وتستبد بها ، وتبسط سلطان الرجل ووصايته عليها ، حتى كانت فى بعض البلاد تنقل من سلطة والدها الى سلطة بعلمها . وإذا مات زوجها ، أصبحت تحت وصاية ابنها الأكبر ، أو تحت تصرف أهل زوجها الواحد بعد الآخر طول حياتها . وفى بعض بلاد الشرق الأقصى كالهند واليابان والصين وغيرها ، كانت التقاليد تقضى بأن تتبع المرأة زوجها فى الحياة وفى الموت ، لأن شرائعهم وأديانهم كانت تقضى بأن تكون المرأة ظل الرجل وصداءه ، كما كانت بعض قبائل العرب تند بناتها ، وكانت معظم تلك البلاد فى حضارتها الأولى ، حتى البلاد الساحلية كالليونان والرومان ، تعتبر الزوجة من مقننات الرجل سيدة صاحب السلطة التامة عليها . تلك السلطة التى كانت تخوله حق بيعها ، واستئجارها ، وإقامة من أراد من الأوصياء عليها بعد موته ، وإعطائهم حق التصرف فيها . فكانت الزوجة تورث مع ما يرثه أهلها من إرث ومتاع ، وبلغ استعباد الرجل لها أن كانت عند اليونانيين لا تستطيع الانتقال من غرفة الى غرفة فى منزلها إلا بإذن من زوجها .

وفى عهد الامبراطور كلتس سنة ٣٠٥ كان الرومانيون يجعلون المرأة من المهـد الى اللاحـد فى قبضة اليد ( in mano ) - إن مانو - حسب اصطلاحهم ، وقد قال كاتون الرومانى « نير المرأة لا يخلع » .

ولم تسكن نساء أوروبا فى القرون الوسطى أوفر حظاً من نساء الشرق الأقصى وسواحل البحر الابيض المتوسط - وفى بدء ظهور المسيحية ، قام رجال الدين يشنون روح الكراهة ضد المرأة بقصد توجيه القلوب الى الحياة الآخرة - فبلغ احتقار الرجل للمرأة عندهم أقصى الدرجات ، حتى إن الرجال فى مجمع باكون سنة ٥٣١ ، بحثوا فى هل للمرأة نفس ، وهل تعتبر من جملة البشر - وفى عصر انتشار الرهبانية ، زاد تحمس الرجال ضد النساء لدرجة أنهم صاروا يطلقون عليهن من النعوت الظالمة أشدها وأقساها ، ويعتبرون المرأة فاسدة بالفطرة ، ويحظرون عليها التعليم - وإذا تعلمت القراءة منعوها من تعلم الكتابة - وكانوا يروضون المرأة على حياة الزهد والنقشف حتى ان نساء البيوت الكبيرة كنّ لا يميزن فى كيفية معيشتهن عن الراهبات ،



وكن يرضون معظم أوقاتهن بين العبادة والأشغال اليدوية - ولولا انشاء الأديرة التي فتحت للمرأة الأوروبية في ذلك العهد باب التعليم والنشاط، لما غادرت المرأة عزلتها الأولى ، حتى عصر الاقطاعات الذي قام على تقديس القوة وتكريم الرجولة ، وانحطت فيه حقوق المرأة في تلك الاقطاعات بتمييز الذكور عن الاناث - الا أن المدنية الاسلامية التي اكتسحت أوربا في ذلك العصر - وألقت نور حضارتها عليها ، فتحت أمام المرأة أبواب التحرر والتعليم ، وأطلقتها من قيود العبودية الظالمة ، وفي ذلك قال جوستاف لوبون ( فمن العرب استعار سكان أوروبا مع تقاليد الفروسية احترام الجنس اللطيف، وعلى ذلك فليست المسيحية، كما هو معروف على وجه عام ، هي التي رفعت المرأة من مقامها الوضع الذي بقيت فيه حتى ذلك ، إنما هو الاسلام الذي رفعها- فان أشرف الشطر الأول للقرون الوسطى ما كانوا يحفظون أقل احترام للجنس اللطيف، ويدلنا على ذلك إلقاء نظرة إلى توارينها القديمة ) هذا ما قلّه جوستاف لوبون .

سادتي سيداتي :

عاشت المرأة في العصور الخالية ، محرومة من حقوقها، مسلووبة الارادة والحرية، رغم ما ظهر من استعدادها ونبوغها وتفوقها على الرجال في مختلف العصور - ظلم الرجل المرأة ، وحرّمها التمتع بنعيم الحرية والتعليم - وكون منها مخلوقاً على الصورة التي أرادها ، ثم قام بعد ذلك يتهمها بالنقص ، وبأنها مخلوق شرير من معدن غير معدنه، فظلمها مرتين ، فكان من حقها مقاومة هذا الظلم ، ودفعه عنها بكل الوسائل المشروعة - ولم يكن الرجل أبداً عادلاً في حكمه على المرأة ، لا في تقديره الحسن ، ولا في تقديره السيء - فتارة رفعها الى مصاف الآلهة واتقيا برسول السلام ، وتصور فيها الملاك الحارس ، ومصدر الأمن والبركة ، وتارة رآها دون مستوى البشر ، فخنقها الى الخيض ، وفي كلتا الحالتين لم يكن منصفاً لها ، وما هذه المحاولات الا لأنه يأبى أن تستوى به ، ولو تعقل لانصفها ووضعها بجانبه في ذلك المكان الذي تصبو اليه، مادامت قد خلقت من ضلعه، ليستقر التوازن العالمي، وليقوم الانسان الاجتماعي، الفرد المكون من الرجل والمرأة، بأداء رسالته الانسانية السامية في الوجود ، وقد حض الله تعالى على انصافها بقوله ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ) .

سادتي سيداتي :

أردت قبل الدخول في الحديث عن مكانة المرأة في البلاد العربية أن استعرض بإيجاز



مركزها في بعض البلاد الشرقية والغربية في العالم وتقدير الرجل لها ومكانتها في الشرائع والأديان ، ليظهر لنا جلياً الفرق بين المدنات المختلفة في العصور الحالية ، وبين مدينة العرب منذ العصور الأولى .

كان العرب في جاهليتهم وإسلامهم ، بل منذ نيف وأربعة آلاف سنة ، أكثر الأم احتراماً للمرأة ، واعترافاً بحقوقها ، وافتيخاراً بشخصيتها لدرجة المباهاة بالانتساب إليها أما كانت أو زوجة أو أختاً - إذ كانوا يقدرون أدبها وشجاعتها واستبسالها ، إذا استثنينا بعض عصور التدهور والانحدار التي تأثر العرب بتقاليد الأمم الغيرة على بلادهم ، وضغطها على حرياتهم ، الأمر الذي أدى إلى تطور أخلاقهم في معاملة نساءهم مجارة لهم أو حفظاً لكرامتهم .

وأول حضارة سجلها التاريخ ، هي تلك التي أقامها العمالة الذين استوطنوا العراق ومصر وسوريا مدة طويلة ، ووسعوا مدنياتها وأنزلوا المرأة منهم منزلة عالية ، فكانت في شرائعهم تتمتع بحق المساواة بالرجل ، وقد تجاوزه أحياناً - فكان للأم المنزلة الأولى في الاجلال والاحترام ، وكان للمرأة حق مزاولة كل أعمال الرجال ، وأرق هؤلاء حضارة هم المحوريون ، نسبة الى محوري مؤسس هذه الدولة وأول واضع للتشريع في التاريخ - وقد وضع شريعته على درجة من الرقي لم تصل إليها الأمم الحديثة في عصرنا هذا - أعطت المرأة حقوقها كاملة مع بعض قيود - كما قيدت الرجل أكثر من غيرها من الشرائع - فأجازت للرجل تعدد الزوجات على شريطة ألا يتزوج بثانية إلا إذا كانت الأولى عقيم ، أو مريضة بمرض يمنعها من القيام بواجباتها الزوجية وذلك مانطاب به اليوم - وأباح للرجل الطلاق ، وقيدته بنفقة المطلقة ، ونفقة أولادها ، وحتمت عليه عدم تطليق الزوجة المريضة وألزمته بإعالتها مدة حياتها - كما خولت المرأة أيضاً حق المطالبة بالطلاق ، على أن تعرض قضيتها على الكاهن ، أو القاضي ، فيفصل اما لها أو عليها ، ولم تقف هذه الشريعة في انصاف المرأة عند هذا الحد بل ساوتها بأولادها في الميراث ، وحرمت زوجها إرثها إذا لم يكن لها منه أولاد . وهذا أكثر مما نطالب به اليوم في القرن العشرين ، وكذلك خولتها حق مزاولة الأعمال الحرة كالتجارة والزراعة وغيرها من الأعمال الأخرى ، وأنزلتها مكانة ممتازة في الأسرة والهيئة الاجتماعية . وفي عهد الأقباط اعتلت النساء العروش وضربت النقود بأسمائهن مع أسماء الرجال ، واشتركن في السيادة ، واشتهر من الملكات إذ ذاك ( زنوبيا ) من نساء تدمر ، التي كانت وصية على ابنها ( وهب للات ) في أوائل



عهد المسيحية . وكانت أنموذجا للدهاء والنشاط والاقدام . أعلنت استقلالها عن الرومان ، وتولت قيادة الجند وسارت للفتح ونشرت أعلامها وسلطانها على مصر والشام والعراق وآسيا الصغرى الى أنقرة . وغيرها من الملكات الشهيرات ( الزباء ) ، والملكة حبيبة ، وماوية التي خلفت زوجها على عرش سينا وما وراءها .

أما المرأة العربية في الجاهلية فقد كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، وعرفت بالسكرم ، حتى قيل ان حاتم الطائي ورث كرمه المشهور عن والدته ، وقد كانت المرأة تشارك الرجال في الشجاعة ، ويتبعن أزواجهن إلى ميادين القتال ، ليلقين الأناشيد الحماسية ، وينقلن لهم الماء ، ويداوين الجرحى ، ويشتركن أحياناً في القتال ، ويضربن من يحاول الهرب من المعركة . ومن بين من عرفن بالشجاعة ( دختنوس ) ابنة زرارة الدارمي ، و ( أمّة ) ابنة كليب و ( كبشة ) بنت معد يكرب الزبيدي وغيرهن . هذا وقد نبغ منهن في الآداب كثيرات ، فبرزت في الشعر أمّة بنت عنبية وأميمة أم تابط شرا وتماضر الخنساء . ونبغت في الطب طريفة كاهنة الميمن ، وزرقاء ليثامة . وكذلك نبغ كثير منهن في نواحي الآداب والعلوم المختلفة . وكان العرب يعزّون بنسبتهم النابغات ، ويباهون بانتسابهم اليهن ، على عكس ما كان يفعل غيرهم من الأوروبيين مع النابغات من نساكنهم .

### المرأة العربية في الاسلام

نزل الاسلام على الأمم العربية وكانت على جانب كبير من المدنية ، وجاء القرآن مصدقاً لما قبله من الأديان السماوية فأدخل في شأن المرأة تعديلات وإصلاحات لا تحصى ، وبالأخص في الحقوق الشرعية والاجتماعية ، وسوى تقريباً بين المرأة والرجل في الواجبات والحقوق الجوهرية ، وان ميز الرجال على النساء درجة وسوى بينهما بقوله ( ولهن مثل ما عليهن بالمعروف ) ، وقد وضع حدوداً للمعاملات والواجبات المتبادلة في الزواج والطلاق وغيرها من العلائق الزوجية حافظاً للمرأة حقوقها الشرعية والمدنية ، وأملى على الأب والأخ والزوج والولد توصيات جمة ، ونهى عن وأد البنات فقال « وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت » وكذلك قوله تعالى « لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم » .



وبخلاف الامم القديمة التي كانت تنكر على المرأة حقوقها ، ولا تسمح لها بالارث أو الشهادة ، منح الاسلام المرأة حق التملك والتصرف والوراثة والشهادة ، ورفع من شأنها في الحياة الزوجية ، ومنع توارث النساء ، وحض على حسن معاشرة الزوجات والرفق بهن بقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » كما حث على تكريم الوالدين ، وخاصة الأم اعزازاً لمكانتها ، وألغى فوضى الجاهلية في الزواج فوضع لتعدد الزوجات حداً ، وأقام لجوازه شروطاً تكاد تجعله في حكم المستحيل بقوله « فان ختم ألا تعدلوا فواحدة » . ثم استدرك في مكان آخر عدم إمكان العدالة فقال « وان تستطيعوا أن يعدلوا بين النساء ولو حرصتم » . ومن هنا يتضح لنا انه مما يتفق وروح الشريعة السمحاء تنظيم جواز تعدد الزوجات مع ما يناسب روح العصر ومقتضيات الحياة لدرء ما يجلبه سوء استعمال هذا الحق من تعاسة للأسرة ، ومقاسد ومظالم للأولاد .

سادتي ، سيداتي :

جاء الاسلام مثبتاً لحقوق المرأة ، مكلاً لما كان ينقصها ، رافعاً لمقامها ، فازدهر شأنها في فجر الاسلام ، فتعلمت وعلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وحاربت في صفوفه ، وهاجرت معه ، وظلت مكانتها في رفعة وازدياد على مر العصور التالية . ففي العهد الأموي اشتهرت طبقة من النساء بالعلم والتقوى ، وسرى التعليم الى الامماء فنبن في الادب والفنون ، كالشعر والرواية والموسيقى ، ونذكر من نساء البيوت المتأدبات سكينه بنت الحسين بن علي التي قال فيها المستشرق الفرنسي برون « سيدة سيدات عصرها وأجملهن وأرقهن صفات وأخلاقاً » وكان منزلها كعبة الأدباء والشعراء .

أما في العصر العباسي فقد بلغ نضوج النهضة النسائية أوج الكمال ، وامتلأت القصور بالجاريات النابغات في مختلف العلوم والفنون . وتسربت العدوى الأدبية ، الى بنات البيوت الكبيرة ، فأصبحن عماد النهضة النسائية ، وأشهر هؤلاء السيدات العباسية بنت المهدي ، والسيدة نفيسة ، وظلت المرأة في رقي مستمر حتى منتصف العصر الفاطمي ، حيث بدأت مكانتها تتضاءل رويداً رويداً أثر انحلال الدولة ، وما لبثت أن اختفت من المجتمع .



## المرأة العربية في العصر الحديث

سادتي ، سيداتي :

عمت فترة نخول الأمم واضمحلالها الاجتماعي كل بلاد الشرق العربي . وظلت المرأة في تلك الوهدة حتى أشرق شعاع نهضتها الحديثة من مصر ، ولمع أول بريق لهذا الشعاع في عهد محمد علي باشا الكبير ، رأس الأسرة العلوية المجيدة الذي رأى ان ما من نهضة لأمة الا بنهضة نساها ، فغرس أول نواة في تعليم البنات بإنشاء مدرسة لهن ، كما افتتح مدرسة لتخريج القابات ، حتى يقمن بكفاية المرأة في هذه الناحية . وفي عهد اسماعيل العظيم أنشأت زوجته الصغرى ، حشم أنت هانم ، مدرسة للبنات ، ولما ازداد الاقبال عليها ، أتبعها بثانية ثم ثالثة ، وظلت خطوات المرأة في ميدان العلم تتقدم على مهل ، حتى دوت صرخة قاسم أمين ، وتمخضت دعوته عن بداية نهضة نسائية طيبة في مصر ، وعلى مرور الزمن ، وبفضل اشتراك المرأة في الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ اشتراكاً فعلياً ، وبفضل جهود الاتحاد النسائي والدعاية التي قام بها منذ سنة ١٩٢٣ بمصر والخارج ، اكتسبت المرأة المصرية حق المساواة بالرجل في التعليم الثانوي والجامعي . وأقبلت الفتيات المصريات على مناهل العلم والثقافة بتعطش وشغف ، وأحرزن نجاحاً باهراً في مختلف العلوم والفنون ، وكن في طليعة الأوائل في الامتحانات العامة ابتدائية وثانوية وعالية . وفي سنوات قليلة تضاعف عدد الطالبات في كليات الجامعة حتى بلغت خمسمائة طالبة من مجموع الطلبة الجامعيين ، منهم ٢٩٠ في كلية الآداب ، و٩٠ في العلوم و٣٠ في الحقوق و١٠ في التجارة ، وما هي الا سنوات قليلة حتى شغلن في المجتمع مناصب هامة ، ومارسن مهنة الطب والتعليم والمحاماة والطيران وغيرها من المهن والاعمال الحكومية والحررة في نجاح مستمر ، وبذلك أعدن إلى المرأة العربية قسطاً وافراً من مكائدها الاجتماعية القديمة ، وسرت روح هذه النهضة المباركة الى البلاد العربية الشقيقة التي أنجبت كثيراً من شهيرات النساء في الادب والعلم والخطابة في عصور حضارتها ، ووجدت هذه الروح في تلك البلاد مرتعاً خصباً لتنمو فيه ، ولا عجب فقد كانت من القدم مهد الثقافة والعرفان ، ومنجبة لرجال العلم والادب الذين كانوا من أول الغارسين للعلم في بلادنا . وهنا لا يسعني الا الاشادة بفضل ما قامت به مدارس الراهبات ، وما بذلته الكليات الامريكية من جهود في تعليم بناتنا منذ النهضة التعليمية وقبلها ، وأخص بالذكر والثناء قسم الخدمة العامة للجامعة الامريكية الذي لا يألو جهداً في نشر الثقافة وخدمة العلم وأهله في بلادنا العربية .



سادتى سيداتى :

أصبحت المرأة فى مصر والبلاد الشقيقة اليوم تشارك الرجل فى معظم وجوه الإصلاح ، مادياً وعلمياً واقتصادياً ، تساعده فى الحقل ، وفى المصانع وفى التجارة ، وفى الشئون الاجتماعية إذ فتحت لها أبواب التعليم على مصراعيها فى المدارس الأولية والابتدائية والثانوية والجامعية ، تتعلم وتعلم فيها وحتى فى الطيران كما فتحت لها أبواب العمل فى الطب ، والحاماة ، والتجارة ، والمصارف ، والسينما ، والتمثيل ، والرقابة ، والصحافة ، والمهن الادارية ، كالتمتيش ، وبوليس الآداب ، والمعامل الصناعية ، وعمما قريب ستفتح كلية الهندسة والزراعة أبوابها للطالبات . لم يبق إذن فى مجال حياتنا الحديثة شيء لم تطرقه المرأة فيجب إذن أن تساوى بالرجل فى الحقوق السياسية ليمكنها أن تضم صوتها إلى صوته وتعاونه فى جميع الإصلاحات التى يقوم بها فى مختلف مراحل الحياة وأن تشارك فى سن القوانين التى تنظم مرافق الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة كما شاركته المواقف الوطنية الخطيرة فى مصر وفلسطين ولبنان وسوريا ، وعرضن أنفسهن للسجن والتسكيل والاعتقال والموت . وأبدىن من الشجاعة ، والتضحية ، وإنكار الذات ما شرف المرأة العربية .

سادتى سيداتى . . ولو أن المرأة العربية قد استعادت بعض حقوقها الشرعية والمدنية ، إلا أنه ما زال ينقصها الكثير الذى لو منحه لاستعادت مكانتها أحسن مما كانت عليه فى العصور العربية الزاهرة ، ومن أجل الحصول على بقية حقوقها المهضومة ، عقد نساء الشرق العربى فى شهر ديسمبر الماضى بالقاهرة ، مؤتمرًا نسائيًا عربياً ، اشترك فيه أكثر من مائة وخمسين سيدة من الجمعيات النسائية فى مصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان وشرق الأردن ، تردد ذكره فى العالم من أوروبا إلى الهند إلى أمريكا - وقد نظر ذلك المؤتمر الذى أعارته الدول الأجنبية والعروبة جانباً عظيماً من العناية والاهتمام ، فى قضيتين عادلتين ، هما قضية المرأة ، وقضية فلسطين - وهما قضيتان وثيقتا الارتباط وعلى نجاحهما يتوقف استكمال النهضة الوطنية واضطلاع المرأة العربية بواجباتها كاملة نحو المجتمع ، بما يتناسب ومقتضيات العصر الحديث ولقد توخينا فى قراراتنا منتهى الحكمة والتبصر حتى نصل بسهولة الى حل هاتين القضيتين ، ولعلنا نجد من رجالنا المفكرين آذاناً صاغية لطلباتنا إنصافاً لنا ولهم ، حتى تستطيع المرأة أن تقوم بعبئها الوطنى الشاق فى هذه الظروف ، التى إن طالت أو قصرت ، لا شك ستمتدخض عن أحداث ومفاجآت ، يحسن بالرجل ألا يتحمل منفرداً عبء المسؤولية فيها ، لأن نتائج مثل هذه المسئوليات لن تقع



عليه وحده ، بل تقع أيضاً على المرأة التي أصبحت تشاطره كل شيء ، وعلى أولادها أبناء الأجيال القادمة .

أما القضية الأولى ، وهي قضية المرأة ، فهي تتلخص في ادخال بعض تعديلات من أجل تنظيم الزواج والطلاق والنفقة والحضانة بما يتناسب وروح الشريعة الاسلامية ومقتضيات العصر الحديث ، فلقد طالبنا بسن تشريع يلزم كلا الزوجين الخضوع لكشف طبي رسمي يثبت براءتهما من كل مرض تناسلي أو وراثي قبل الترخيص لهما بالزواج ، وتقييد تعدد الزوجات إلا باذن من القاضي في حالة السقم أو المرض غير القابل للشفاء ، المساواة بين الرجل والمرأة في أحكام قانون العقوبات الذي خص المرأة فقط بالعقاب في جريمة الزنا . وتقييد حق الطلاق بما لا يجعله أداة اضرار بالمرأة ، وبما لا يتعارض مع أصول الشرائع في حالة الطلاق أو الفرقه . وأن تعوض المطلقة عما يصيبها من ضرر بسبب إساءة الرجل استعمال حقه في الطلاق ، ورفع النفقة القابلة للحجز في مرتب الزوج الموظف الى الحد الذي يتسع للانفاق على زوجته وأولاده ، وجعل الحضانة للأم الى سن المراهقة في الجنسين ما دامت أهلاً لها ، وبعد حد المراهقة تكون الحضانة للأصلح من الوالدين حسبما يراه القضاء لمصلحة الطفل ، والحد من سلطة الولي ، ابا ، كان أوجدا ، بما يجعل هذه السلطة ممثلة لسلطة الوصي .

أما في الحقوق السياسية فقد قرر المؤتمر مطالبة الحكومات بالعمل على المساواة تدريجياً بين المرأة والرجل في الحقوق السياسية ، وعلى الأخص حق المرأة في أن تنتخب وتنتخب ، وإلى أن تهيأ للحكومات فرصة تحقيق هذه المساواة كاملة في جميع الهيئات التشريعية والنيابية ، أن تبدأ هذه بتقرير هذه المساواة في المجالس الحسبية والاقليمية وبالتعيين في مجلس الشيوخ وفي الوظائف التي يشغلها الرجل المتساوي معها في الشهادات والمؤهلات .

ولا أظن المرأة بطلبها هذا تسعى الى منحة ، فلقد أعطاها الاسلام حق البيعة ، وبوأها منصب الافتاء ، فمن منحها الخالق حق بيعة النبي لا يجوز أن يسلبها المخلوق حق انتخاب نائب عن دائرة أوحى في الوقت الذي يتمتع فيه بهذا الحق رجل قد يكون دونها ثقافة وخبرة وفي حماية الاخلاق طالبنا بالغاء البغاء المرخص به في جميع الاقطار العربية الغاء عاجلاً ، وعدم الترخيص للفتيات بالاشتغال في الحانات .

ومن مطالبنا بخصوص التعليم ، تعميم التعليم الاجباري لحو الأمية ، ثم العمل على ان تعهد الى



السيدات بتعليم الناشئة بنين وبنات في الطفولة ومرحلة التعليم الابتدائي ايضا ، وان يجمع بين الجنسين في هذه السن وهاتين المرحلتين .

أما قضية فلسطين ، فقد قرر المؤتمر تأييد حق العرب في أن فلسطين دولة مستقلة تحكم نفسها بنفسها ، حكما نيابيا تمثل فيه الاكثرية العربية - ثانيا - وقف الهجرة الصهيونية الى فلسطين وقفا تاما - ثالثا - مطالبة الشعوب العربية أفرادا وجماعات ، بالمساهمة المادية والمعنوية في تأييد قضية فلسطين وتشكيل لجنة عامة تمثل جميع البلاد العربية لوضع القواعد التي تراعى في تحقيق هذا الغرض ، على أن يكون لهذه اللجنة فرع يمثلها في كل بلد عربي - رابعا - نشر الدعوة في جميع البلاد العربية للدفاع عن حقوق العرب في فلسطين ، وتأييد لجان لهذا الغرض - خامسا - تأييد المؤتمر لمشروع تكوين الجامعة العربية والمطالبة بسرعة تنفيذ هذا المشروع - سادسا - مطالبة الحكومات العربية بمصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان باعادة المبعدين ، وبالافراج عن جميع المعتقلين السياسيين الذين لم تثبت ادانتهم - سابعا - مطالبة الحكومات العربية بالتعاون فيما بينها على اتخاذ ما يلزم من الاجراءات التي تكفل منع تسرب أراضى العرب الى اليهود . وقرر المؤتمر النسائي العربي دعوة ملوك العرب ، وأمراءه ، ورؤساء الجمهوريات ، والقادرين من أبناء مصر ، وأبناء الامم العربية عامة ، الى المساهمة في تأسيس شركة مساهمة ، الغرض منها اتخاذ التدابير اللازمة للاحتفاظ بالاراضى الزراعية بفلسطين لما لكيها العرب ، ارسال برقية باسم المؤتمر لسكل من رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ورئيس حكومة انجلترا ، تتضمن الاعراب عن تألم سيدات العرب مما يبدو بين آن وآخر من تصريحات تظاهر الصهيونية على حساب حق العرب الصريح ، ورجاء الرئيسين المذكورين ، باسم السلام ، ألا يتأثرا بنفوذ اليهود .

سادتي سيداتي

اننا بهذه المطالب لم نتجاوز حد المعقول والامكان ، وفي استطاعه مشرعينا اذا أرادوا سعادة الاسرة وطمانيتها اجابة المؤتمر فيما يختص بمطالب المرأة . كما ان في استطاعة الدولتين الديموقراطيتين تحقيق مطالبنا المشروعة في قضية فلسطين ، اذا كانوا يقدررون حقاً صداقة العرب والابقاء عليها - وقفنا الله واياكم الى ما فيه الخير والفلاح في ظل مليكننا المعظم حفظه الله .



## النظم التشريعية وحقوق الانسان فى الاقطار العربية

لمعارة عبد الحميد بدوى باسا

ليس العهد بالكلام فى حقوق الانسان بعيداً ، فهو لا يذهب فى الماضى إلى أكثر من القرن الثامن عشر ، حين أعلنت الولايات المتحدة استقلالها فى سنة ١٧٧٦ بالوثيقة التاريخية المشهورة ، التى صدرت بهذه العبارة « إننا نرى هذه الحقائق واضحة لا ريب فيها ، وهى أن الناس خلقوا سواسية ، وأن خالقهم وهبهم حقوقاً لا يجوز لهم أن ينزّلوا عنها ، وأن من بين هذه الحقوق الحياة ، والحرية ، والسعى إلى السعادة ، وأنه لتوفير هذه الحقوق وتأمينها ، تقوم الحكومات بين الناس مستمدة سلطانتها العادل من رضى المحكومين ، وأنه اذا أصبح أحد إشكال الحكيم هادماً لتلك الاغراض ، حق للشعب أن يغيره وأن يلغيه » .

وكان قد سبق هذا الاعلان فى بريطانيا موثيق أربعة شبيهة بذلك ، بدأت بالميثاق الكبير Magna Charta فى سنة ١٢١٥ ، وثبتت بالتماس الحقوق Petition of Right فى سنة ١٦٢٨ ، وتلاه فى سنة ١٦٧٩ وثيقة Habeas Corpus عن الحرية الشخصية ، وختمت بقانون الحقوق Bill of Rights فى سنة ١٦٨٩ ، ولكن هذه الموثيق تختلف عن الاعلان الأمريكى فى أنها كلها لم تكن تهدف إلا إلى الحد من سلطة الملك ، وإلى العمل على إزالة أسباب التعسف والظلم الذى كان يكابده الاشراف والشعب ، دون أن تصدر عن نزعة فلسفية فى تصوير المجتمع والدولة أو رغبة فى تقييد سلطة البرلمان ، من حيث تتمثل فيه السلطة التشريعية . أما الاعلان الأمريكى فانه يشف بعباراته عن مذهب نشره كتيب ، نذكر منهم لوك وروسو ، وبين ومونتسكيو ، كان لكتاباتهم فى ذلك العهد شيوع وشهرة وأثر بالغ فى نفوس المشتغلين بالشئون العامة . وهذا المذهب هو مذهب حالة الطبيعة أو الفطرة ، والقانون الطبيعى ، والعقد الاجتماعى الذى يقوم على أن الدولة تتألف بارادة ورضى الافراد الذين لهم حقوق طبيعية ، لا ينزل عنها ولا تسقط ، مهما تقادم الزمن على عدم استعمالها . وليست هذه الحقوق سابقة فى الوجود على الدولة فحسب ، بل ان قيام الدولة لا يستطيع أن ينقص منها أو يفيض



من أنرها فهي تلزم جميع السلطات التي نظمت لتولى شئون الحكم ، ليس بينها في ذلك فاضل ولا مفضول ، فالسلطة التشريعية نفسها مقيدة بها ، وتلك الحقوق مفروضة عليها .

على أنه حين وضع الدستور الأيرلندي في سنة ١٧٨٧ لم يضمن صيغة لإعلان حقوق الناس . وذهب بعض الكتاب في تعليل ذلك الى أن واضع الدستور ، إنما غناهم تدبير نظام الحكم ، وبيان الحدود في علاقة السلطات بعضها ببعض بحيث تتفاعل في انسجام وتجري في أحكام ، فلم يلقوا بالاحقوق الانسان ، وان كانت قاعدة فصل السلطات من خير الوسائل لحماية الحريات . وذهب آخرون الى أن أغراضاً عملية هي التي أملت عليهم السكوت عن إعلان الحقوق ، فقد خشوا أن يعترض أهل الجنوب على مثل ذلك الاعلان العام المطلق إذا فهموا أنه ينطوي على إلغاء الرق .

وربما كان التعليل الأدنى للصواب هو الذي قال به هاملتون في مقالاته Federalist حين كان يرد على المعارضين في الدستور التعاهدي . وهو أن الدستور نفسه ، من جميع المعاني ولكل الأغراض هو بعينه إعلان الحقوق . وذهب بعد ذلك يعدد الحقوق التي تضمنها الدستور .

على أن الاشارات المنتثرة في الدستور الى الحقوق لم يرها آخرون كافية ، بل قيل ان فريقاً من الولايات رغبت عند الموافقة على الدستور ، أن يكمل ببيان الحقوق بصورة أوفى وأكمل ، وذلك منعاً لسوء التأويل ، وقطعاً لاسباب العسف والطغيان .

وقد قدم طلب التنقيح باضافة ميثاق الحقوق « Bill of Rights » الى البرلمان منذ سنة ١٧٨٩ وأقره المجلسان وعرض على الولايات للموافقة عليه ( وهي الطريقة المقررة لتنقيح الدستور ) وتمت الموافقة عليه في سنة ١٧٩١ .

ويتألف هذا التنقيح من عشر مواد . قرر بها حرية الأديان ، وحرية الرأي والصحافة ، وحرية الاجتماع ، وحق النظم ، وحرية حمل السلاح ، إثباتاً لحق الأفراد في إنشاء مليشيا منظمة ، وضمانات متعددة من حيث القبض على الاشخاص أو حبسهم أو تفتيشهم ، أو تفتيش منازلهم ، ومن حيث محاكمتهم ، كما قرر ألا جريمة ولا عقاب إلا بناء على قانون . وأوجب نظام المحلفين ، وعرض للكفالات ونوع العقوبات التي تقرر ، وغير ذلك من الشؤون المتصلة بالحرية الشخصية ، كذلك قرر حماية الملك من النزاع للمنفعة العامة دون تعويض .



وفي العهد نفسه وبتأثير الآراء والمذاهب عينها ، أقر الفرنسيون في سنة ١٧٨٩ في ثورتهم المشهورة إعلان حقوق الانسان . والموقف في البلدين قوى الشبه ، فكلاهما تأثر ، أميركا تأثرة على بريطانيا ، وفرنسا تأثرة على الملكية . والإعلان الفرنسي ، إعلان لحقوق الانسان ولحقوق الأهلين . وقد صدر بأن الناس يولدون أحراراً متساوين في الحقوق ، ويظلون كذلك وأنه لا يجوز أن يكون مناط الفوارق الاجتماعية وأساسها سوى المنفعة المشتركة ( مادة أولى ) ، وأن الغاية من كل مجتمع سياسى هى المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية ، التى لا تسقط مهما تقدم عليها الزمن . وتلك الحقوق هى الحرية ، والملكية ، والأمن ، وحق مقاومة الظلم والظلم ( مادة ٢ ) ، ويلى ذلك كلام على سلطة الأمة ، وتعريف الحرية والقانون ، وحدود أوامره ونواهيها ، وبيان عن الضمانات فى شأن الحرية الشخصية ، وتأكيده لحرية الرأى ، وأحكام مختلفة عن السلطات ، والقوة المسلحة ، والضرائب .

وعند وضع دستور سنة ١٨٩٣ ضمن إعلاناً للحقوق على طراز إعلان سنة ١٧٨٩ كما ضمن كل دستور عدا دستور سنة ١٨٧٥ أحكاماً شبيهة به ، أو إحالة إلى إعلان سنة ١٧٨٩ .

وتضمنت الدساتير المكتوبة فى البلاد الأخرى ، قديمها وحديثها ، بياناً عن الحقوق تارة يوصف بأنه حقوق الانسان وطوراً بأنه حقوق الأهلين وفى هذه الحالة تكون حقوق من عداهم وحررياتهم ، مكفولة بالقانون الدولى العام وتكاد أحكام الدساتير المختلفة تكون واحدة فى هذا الشأن .

والدستور المصرى يتضمن فى بابه الثانى والعشرين مادة ( ٣ - ٢٢ ) فى حقوق المصريين وواجباتهم وهو يقرر المساواة فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة . لا تميز بينهم فى ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . ويكفل الحرية الشخصية ويقيّد القبض أو الحبس بأحكام القانون . ويؤكد أن لا جريمة ولا عقاب إلا بناء على قانون . ويقرر حرمة المنازل والملكية ، ويطلق حرية الاعتقاد ، ويكفل حرية الرأى وحرية الصحافة فى حدود القانون . ويعلن حرية التعليم فى حدود النظام العام ، والآداب . ويؤكد حرية الاجتماع . وحق تكوين الجمعيات . وحق الأفراد والهيئات فى خطاب السلطات العامة والتظلم إليها .



ومثل الدستور المصري الدستوري السوري ( الباب الثاني مواد ٦ - ٢٨ ) ودستور لبنان ( الباب الثاني مواد ٧ - ١٤ ) ودستور العراق ( الباب الأول مواد ٦ - ١٨ ) .  
وليس للحجاز أو اليمن دستور كما ان الجزائر وتونس ومراكش ليس لها دستور خاص .  
والمقدر ان أحكام الدستور الفرنسي سارية عليها .

هذا هو شأن اعلان الحقوق في الدساتير عامة وفي البلاد العربية خاصة ، على ان أمر اعلان الحقوق لم يقتصر على الدساتير . بل قامت في بعض البلاد الغربية جماعات تعنى به ، وتدعو الناس الى الاهتمام به . وهي ترى ان اعلان الحقوق الذي وضع في أواخر القرن الثامن عشر ، وكررت أحكامه في دساتير القرن التاسع عشر والعشرين ، لم يعد صالحاً للعصر الحاضر ، فانه لم يقصد به الا تنظيم الديمقراطية السياسية التي تقوم بوجه خاص على الحريات الشخصية ، وعلى حق الاقتراع العام . وان تطور مذهب الفردية Individualism ، والثورة الصناعية وتقدم العلوم ، كل ذلك أحدث اجتماعية ذات خطر ألقت النظر إلى ناحية أهملت في إعلان الحقوق الاولى ، هي الديمقراطية الاقتصادية ، وانه يجب لذلك أن يكون إعلان الحقوق ناصراً للديمقراطية من الناحيتين السياسية والاقتصادية معاً .

ففي أميركا اشتغلت جمعية World Citizen Association ، ولجنة دراسة نظام السلم Commission to study the organization of peace ، ومعهد القانون الأميركي American law institute وغيرها بأمر حقوق الانسان ، كما ان بها هيئات رسمية اشتغلت به أيضاً وهي National Resources Planning Board Defense ، وقد وضع كل منها مشروع وثيقة دولية عن تلك الحقوق ، أو أبحاثاً ضافية عنه .

وفي بريطانيا اشتغلت به جمعية كامبردج لأغراض السلم ، ولجنة اللورد سانكي ، وفي فرنسا جماعة تسمى Ligue des Droits de l' homme وهي جمعية قديمة كان هها الدفاع عن حقوق الانسان وتعقب ما يقع مخالفاً لها أو ماساً بها ، وقد وضعت كذلك مشروعا يشبه في كثير من نواحيه مشروع لجنة اللورد سانكي .

ومن الهيئات التي اشتغلت بهذا الشأن في سنة ١٩٢٩ « معهد القانون الدولي » Institut de Droit International وله في ذلك مشروع أيضاً .

هذا إلى ما كتبه الكثير من الاساتذة والمؤلفين أو وضعوه من مشروعات مختلفة .



وليس من الميسور عرض المشروعات المختلفة لاعلان الحقوق ، ثم ان بينها تشابهاً كبيراً يشعر بأننا في سبيل نوع من الاجماع العالمى يتكون ببطء ، وفي أجواء وظروف مختلفة ، ويدل على نقطة في الوعي الاجتماعى لن يكون من السهل إخمادها أو تجاهلها .

وقد نكتفى للتمثيل بهذه المشروعات والأبحاث بثلاثين ، أحدهما أميركى ، والاخر بريطانى : أما الأول فمشروع وضعته لجنة ألفها معهد القانون الاميركى ، سميت لجنة المستشارين وروعى في تشكيلها أن تمثل الثقافات المختلفة بريطانية ، وأميركية ( الولايات المتحدة وكندا ) أميركية ، لاتفينية ، فرنسوية ، إيطالية ، ألمانية ، من العهد السابق على الحىكم النازي ، إسبانية ، روسية ، بولندية ، عربية ، هندية . والمشروع مؤلف من ثمانية عشر مادة تثبت الحريات والحقوق الآتية : —

حرية العبادة ، حرية الرأى ، حرية القول ، حرية الاجتماع ، حرية تكوين الجمعيات ، الحرية الشخصية ، المحاكمة العادلة ، الوقاية من الحبس الظالم ، ألا جريمة ولا عقاب إلا بناء على قانون ، حق الملكية ، والتعليم ، وما يتصل به من حرية وإلزام ، وهى إحدى عشرة حرية وحق التى اصطلحت الدساتير والوثائق القديمة على إثباتها كحقوق الانسان . وقد أثبت المشروع إلى جانبها حق الانسان فى العمل ، وحقه فى أن تكون شروط العمل معقولة ، وحقه فى الطعام والمأوى اللائق ، وحقه فى التأمينات الاجتماعية ، وحقه فى الاشتراك فى حكومة بلده ، والمساواة فى الحقوق والتكاليف بلامتياز فى ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين . ويختتم تعداد هذه الحريات والحقوق بأنها مقيدة بحريات الآخرين وحقوقهم وبالمتعضيات العادلة للمصلحة العامة فى بلد ديمقراطية .

وقد قدم هذا المشروع إلى مجلس إدارة المعهد فقرر فى فبراير من العام الماضى انه ليس ثمت فى الوقت الحاضر احتمال معقول لأن يقوم المعهد بوضع وثيقة دولية لحقوق الانسان ، وان المعهد لا يأخذ على نفسه أن يستحسن المشروع أو أن يستنكره :

وأما الثانى فهو مشروع وضعه الكاتب البريطانى الشهير ( ولز ) ، وعرضه للمناقشة العامة وبعد أن أبدى عليه ما أبدى من الملاحظات ، جمعت وعرضت هى والمشروع على لجنة يرأسها اللورد سانكي ، وهو من كبار رجال القانون البريطانيين فتولته بالتمقيح والتهذيب ، وأخرجته بعد ذلك مؤلفاً من مقدمة وإحدى عشرة مادة .



وفي هذا المشروع إسهاب وتفصيل ، وفيه بعض التخصيص مما دعت اليه حوادث النازيين وافعالهم ، وقد لا يوافق كثير من الناس على بعض أغراضه واتجاهاته ، ولكن له بالرغم من ذلك كله . فضل الايضاح والبسط لمرامى العصر الحاضر في بلده .

**المقدمة :** قبلت المائة سنة الأخيرة وجه الحياة المادية بما أحدثت فيها من ثورة ، فان الاختراعات والاكتشافات غيرت طبيعة المواصلات حول الارض وبين أجزائها المختلفة ، كما غيرت سرعتها ، وألغت بذلك المسافات التي كانت تفرق بين دول الأرض وشعوبها ، وزادت القوى الميكانيكية زيادة بالغة ، وأطلقت العزيمة الانسانية من عقالها ، فأصبحت قدرة الانسان على معاونة وإبذاء ، وقهر بعضهم البعض ، وعلى استغلال خيرات الطبيعة وتنميتها ، وعلى استهلاكها ، وعلى تبديدها أعظم وأكبر مما كانت في أى وقت مضى ، ولم يزل مدى التغيير يزداد ويمتد في ثلث القرن الأخير حتى لقد بلغ ذروته .

لذلك صار من المتعين أن يلاءم بين حياة الانسان ونظمه ، وبين ما استحدثته هذه الاحوال الجديدة من أخطار ومن فرص ، تزداد على وجه الزمان ، وهاهو أولاً يجد نفسه مضطراً لأن ينظم التعاون بين أشقات الدول ذات السيادة ، بعد أن كان استقلالها ، بعضها عن بعض ، هو المطالب الأكبر ، كما يجد نفسه مضطراً لأن ينقذ الحياة الاقتصادية من التالف الذى حاق بها من جراء الاعمال التي لا تهدف الا الى الكسب ، فهو محمول في شئونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية على قبول الاشتراك والشيوع ، وهو منفصل بذلك ، بلا هدى ودون مبالاة بسعادته ورفاهيته ، والحكومة بين أن تكون شيوعية ، تجعل المرافق بيد الدولة ، أو أن تكون اداة في أيدي الهيئات الانتاجية والمالية ، ذات الصبغة الاحتكارية .

وقد أصبحت هيئات الدين ، ونظم التعليم ، والصحافة ، خاضعة لارادة الهيئات والافراد الحاكمين بأمرهم ، كما أصبح خاضعاً لنفوذهم ، الآداب والعلوم ، وغيرهما من وجوه النشاط الاجتماعى ، التي عاشت حتى الآن مستقلة ، لا تعرف إلا وحي نزعاتها الذاتية .

وقد اعتادت البلاد الديمقراطية ، أو البرلمانية ، في الماضى أن تعارض كل تركيز في نظام القوة والسلطان ، باعادة تأكيد حقوق الانسان ، ولعله لم تعرض مناسبة أولى بهذا التأكيد من الوقت الحاضر ، واننا لموقنون بأن التجديد ضرورة لا بد منها ولا مندوحة عنها . ونرى جرياً على تقاليدنا



الماضية ، أن نقرن إلى هذا اليقين السعي إلى اعلان الحقوق ، لكي يدبر التجديد والانشاء ، وينفذ في وضوح النهار .

من أجل ذلك نعود إلى طريقة إعلان الحقوق التي أثبت الزمن صلاحها ، ونريده غير مقصور على بلد معينة ، بل شاملاً للعالم أجمع .

(١) حق الحياة : في هذا الاعلان يعتبر انساناً كل مخلوق بشري بلامتياز بحسب السن أو الجنس ، وكل إنسان وارث لكل ما جمعه وخلفه السلف ، من موارد وقوات واختراعات ووسائل ، وله الحق بقدر تلك الموارد ، وبلامتياز بحسب الاصل أو اللون أو العقيدة أو الرأي ، في الغطاء والغذاء والعلاج والعناية التي يحتاجها لتحقيق النمو الكامل لجسمه ولعقله ، وتبعث فيه صحة موفورة من المهد إلى اللحد ، ومهما يكن من اختلاف صفات الناس أو عدم تساويها فهم يعتبرون جميعاً وعلى وجه الاطلاق سواسية في نظر القانون ، متساوين في الحياة الاجتماعية ، متساوين في حق كل منهم في احترام الغير له .

(٢) حماية القصر : الاولياء الطبيعيون لمن كانوا في سن لا تسمح لهم بأن يحموا أنفسهم هم الوالدان ، فاذا لم توجد حماية الوالدين كلها أو بعضها ، فعلى المجتمع أن يرضى ، أو أن يهيئ ، حماية أخرى مع مراعاة تقاليد أسرة الصبي .

(٣) الواجبات نحو المجتمع : من واجب كل إنسان ، لا أن يحترم فحسب حقوق الآخرين في سائر أنحاء العالم ، بل أن يعمل على تأييدها وعلى تقدمها ، ومن واجبه فوق ذلك أن يؤدي للمجتمع الخدمات الواجبة لتحقيق الاغراض التي لا تكفي لتحقيقها الدوافع الحرة . . الخ

(٤) حق المعرفة . من واجب المجتمع أن يهيئ لكل إنسان القدر من التعليم الذي يجعله مواطناً نافعاً ذا اهتمام بالشئون العامة بقدر ما تيسره مؤهلاته ، كما يجب على المجتمع أن يقرب إليه أسباب المعرفة ، وأن يمكنه من أى تعليم خاص ، عملاً على تكافؤ الفرص ، وذلك لاستظهار مواهبه الخاصة في خدمة بنى الانسان ، ويجب أن توطأ له طوال حياته كل أسباب العلم بالشئون التي تمكنه من أن يكون حكماً على الحوادث والشئون الجارية .

(٥) حرية الرأي والعبادة . لكل إنسان الحق في أقصى حرية القول ، والمناقشة ، وتكوين الجمعيات ، والعبادة .

(٦) حق العمل . يجوز لكل إنسان أن يشتغل بأى عمل مشروع ، بشرط حاجة



المجتمع لذلك العمل ، وأن يكسب منه الأجر الذى تبرره الفائدة التى يجنيها منه الصالح العام ، أو رغبة أى شخص أو أشخاص فيما ينتجه ، أو فيما يعملها ، أو الأجر الذى ينتجه استمرار نشاطه .

(٧) الحق فى الملك الخاص . لكل إنسان ، فى التمتع بملكه الخاص المكسوب بالطرق المشروعة ، الحق فى الحماية من استعمال القوة أو العنف من جانب الهيئات أو من جانب الأفراد ، أو من أى سعى لحرماته أو لأكراهه أو تهديده .

(٨) حرية التحرك . لكل إنسان أن يتحرك بحرية تامة فى أنحاء العالم على نفقته ، ولا يسوغ لأحد أن يقتحم مسكنه الخاص أو أى ملحق مسور ذى مساحة معقولة ، إلا بأذنه ، إلا أن يكون شخصاً له صفة قانونية يحمل الأمر بذلك طبقاً لأحكام القانون . وله أن يروح ويغدو حيث يريد فى البر أو البحر أو الجو ، فى السهل أو الجبل ، ما دام لا ينتهك حرمة ملك آخر أو يؤذى أو يشوه أو يعطل ما ليس له أو يتداخل فى استعماله ، أو يعرضه للخطر ، أو يسىء إلى سعادة الآخرين .

(٩) الحرية الشخصية . لا يجوز أن تقيد حرية إنسان مدة تزيد على ٢٤ ساعة ، بدون أن يكون متهماً بجريمة يعاقب عليها القانون ، ولا أن يحبس أكثر من ثلاثة أشهر بدون محاكمة ، وذلك ما لم تكن سلطة مختصة قد قررت أنه خطر على نفسه أو على غيره بسبب حالته العقلية الشاذة ، على أنه يجب أن يؤكّد هذا التقرير بعد ٧ أيام ، وأن يعاد فحصه مرة كل سنة على الأقل . ويجب أن يكون كل إنسان بآمن من الكذب أو تحريف الوقائع الأمر الذى يجرجه أو يسىء إليه ، وإن يكن من الواجب أن يظل خاضعاً لنقد الناس ، ولا يجوز سماع شهادة الشهود فى غيبته ، ولا يجوز أن يستعمل ما يدون فى الدوسيهات الادارية لتسويق أى مساس بالحرية الشخصية . وألا يعتبر دوسيه أى شخص أكثر من مذكرة لا يجوز استعمالها فى أى محكمة دون تأييدها بالبينة .

(١٠) الحرية من العنف . ألا يلزم أحد بأى بتر ، بغير رضاه ، وألا يعتدى على جسمه إلا لكف اعتدائه ، ولا أن يعرض إلى أى تعذيب أو ضرب أو أى إساءة بدنية ، ولا يجوز أن يعرض إلى أى إبلام نفسى ، أو أن يحبس فى مكان تجوز فيه العدوى ، أو تكثر فيه الهوام والحشرات ، أو يكون غير صحى ، أو أن يحشر فى أشخاص معدّين . فإذا كان هو نفسه معدباً ، أو



خطراً على صحة غيره ، ينظف ويطهر ويحجر عليه صحياً ، أو يقيد على أى وجه يرى ، ضرورة لمنع أذاه عن الغير .

(١١) حق التشريع . الحقوق المدونة في هذا الاعلان أساسية ولا يجوز التنازل عنها . على أنه لا مناص في الشئون الاصطلاحية . كالسير في الطرق ولحماية النقد من التزييف . أو في الشئون الادارية . كالتنظيم ، وتدابير الصحة العامة ، من تقييد مدى هذه الحقوق .

ولا يكون القانون ملزماً للفرد أو الجماعة إلا إذا وضع بصورة علنية وإلا أن يكون قد رضى به صراحة أو ضمناً ، كل من بلغ سن الرشد سواء كان ذكراً أو أنثى بأغلبية الأفراد أنفسهم مباشرة ، أو بأغلبية نوابهم المنتخبين انتخاباً عاماً . . الخ

على أن الحادث الأكبر في أمر هذه الحقوق هو الميثاق الأطلسي الذي أعلنه الرئيس روزفلت ، ورئيس وزراء بريطانيا ، في ١٤ أغسطس سنة ١٩٤١ ، وأطلقاه وثيقة سياسية يراد بها تأليف أمم العالم من وراء أغراض سياسية معينة . وكان قد سبقه رسالة من الرئيس روزفلت وجهها في ٦ يناير سنة ١٩٤١ إلى الكونغرس قال فيها .

في العهد المقبل الذي نسعى إلى تحقيقه ، نستشرف عالمًا يبنى على حريات أربع لا بد منها ، ولا غنى عنها .

الأولى — حرية القول والتعبير في كل مكان من العالم .

والثانية — حرية كل إنسان في أن يعبد ربه على طريقته في كل مكان من العالم .

والثالثة — التحرر من العوز ، ومعناه على مدى عالمي التفاهم الاقتصادي الذي يوفر لكل شعب حياة صحية آمنة لأفراده في كل مكان في العالم .

والرابعة — التحرر من الخوف ومعناه على مدى عالمي تحفيض عام للأساحة إلى حد ، وعلى وجهه ، لا يستطيع شعب معهما أن يقترف أى عمل من أعمال الاعتداء المادى على أى جاره في أى مكان في العالم .

وليس هذا حلمًا بعالم خيالى سعيد بعيد ، وإنما هى قواعد ثابتة لعالم يمكن تحقيقه في عصرنا ، وفي جيلنا .

وقد أشار الميثاق الأطلسي إلى الحريتين الأخيرتين وحدهما ، على أن الرئيس حين أبلغ ذلك الميثاق إلى الكونغرس قال ، ولست فى حاجة لأن أشير إلى أن إعلان المبادئ التى



قام عليها الميثاق يتضمن ضرورة وحرية القول ، وحرية العبادة ، فانه لا تستطيع أمة أن تعيش في ظل تلك المبادئ إذا لم تجتمع لها هاتان الحريتان فهما جزء لا يتجزأ من جملة الحرية التي نسعى لتحقيقها .

وقد أيدت عصبة الأمم المتحدة هذه المبادئ في أول يناير سنة ١٩٤٢ حين وافقت على الميثاق الأطلسي .

وقد عرض الكتاب في تحليلهم لهذا الميثاق للبحث فيما إذا كان المقصود بهذه الحريات وبوجه خاص الحريتين الأخيرتين ، وهي التحرر من العوز والخوف الأمم أو الأفراد ، وربما كانت عبارات الميثاق ورسائل الرئيس روزفلت يفهم منها كلا المعنيين المختلفة على أن بياناً ذا مغزى خاص أصدرته إدارة استعلامات الحرب الأميركية في ٩ أغسطس سنة ١٩٤١ عن الخطط التي يمكن أن تحقق بها الحريات ، يلقى ضوءاً على مقاصد الرجال السياسيين وهذا نصه . « تنوي الشعوب المتحدة أن تنشئ عالماً يقف فيه الناس معتدلين ، ويسيرون أحراراً . أحراراً ، لا من كل الهموم الانسانية ولكن من الخوف من السلطان المستبد . أحراراً في التشكل أفراداً ، أحراراً في إدارة وتكييف أعمالهم .

والحريتان الأولىان ، الرأي والعبادة حريتان متصلتان بالثقافة ، وهما من مميزات الانسان المفكر ، الانسان المنشئ . يكفلهما في بعض الأحيان الدستور كما هو الحال في الولايات المتحدة ، حيث يفهمان حق الفهم . وحيث لا تزال القوانين التي تحميها يعاد النظر فيها باستمرار ، ويحكم ضبطها لنظراً محتفظتين بمعناها الأصلية .

أما التحرر من الخوف والعوز فلا يتعلقان بالثقافة ، وإنما يتعلقان بما يحيط ببني الانسان ، وهما يصفيان وقائع الحياة ، لا خواطر العقل ، فالانسان آمن أو طاعم ، بحسب ظروف الحياة التي يعيشها .

وليكون الانسان حراً ، يجب أن يعيش في مجتمع وفي وجوه الضغط والارهاق التي تجعل الناس عبيداً أرقاء ، إرهاب الحكومة المستبدة ، ارهاب عدم التسامح ، إرهاب العوز . فليس إعلان الحريات الأربع وعداً بعبية يتلقاها الناس في ظروف معينة ، وإنما هو إعلان لخطوة للناس أن يأخذوا بها .

والحرية من أي نوع كانت نسبية . والشعوب التي وحد بينها الاتفاق على إنشاء عالم



أفضل من عالمنا الحاضر لانهتمس انشاء المدينة الفاضلة التي لايعوز الناس فيها شئ، فليست هذه هي الغاية، كما ان ذلك ليس في مقدور الانسان، وانما يوحّد بينهم ما اعتزموه من انشاء عالم لايفتقد فيه الانسان أدنى ضرورات الحياة المنظمة اللائقة، أو يفتقد فيه أسباب النظام، واحترام النفس والامن، ولعله مطمح سام، بعيد المنال، خصوصاً لمن لا يستطيع أن يعتقد شيئاً، ولكن يشفع له ايماننا بأن الارض خصبة الانتاج، وانها تفيض على الناس النعم والبركات، وان الانسان أصبح يملك الأداة التي تحقق ذلك الغرض، إذا شاء أن يستعملها.

وهذه هي العقيدة التي أجمع ممثلو ٢٩ دولة على الاخذ بها، وهي ليست وعداً من أى فريق من الناس لأى فريق آخر، وانما هي الأمم نفسها التي تستطيع أن تخلق الاحوال التي توطد تلك الحريات الضرورية، وهم الآن يشترونها في سوق الحرب، ويدفعون ارواحهم ثمناً غالياً لها، وفي هذا السوق لاتباع الاشياء بالثمن الرخيص، ولا يبني البيت في أيام ثلاثة، واننا لنرجو في هذا العالم المضطرب المتخرب أن يشيد البناء ببطيئاً وبقدر وتدبير، ولكن إذا اتحدت مقاصد هذه الأمم فان البناء سيرتفع مستقيم العمود موطد الاركان.

والآن وقد خلصت لنا صورة واضحة في حقوق الانسان، ومن تطور الرأى فيها، ورأيناها مجملة في الوثائق الرسمية، مفصلة في الاعلانات التي تضعها الافراد والجماعات، وعرفنا أنها لم تعد تقتصر على تقرير « الحريات الشخصية » للأفراد، من حرية شخصية بالمعنى الضيق، ومن حرية عقيدة، وحرية رأي، بل تمتدى ذلك الى حقوق تكفل للانسان العمل والكفاف من الرزق، وجب أن نتساءل عن القيمة العملية لاعلان الحقوق، وأثره، وقوة إلزامه في الحياة.

ولعل مما يسهل فهم المسألة، أن يفصل ما بين الحريات والحقوق التي اصططلحت الاعلانات القديمة على تأكيدها، والتي دونتها الدساتير، والحريات، والحقوق التي أفاض المشتغلون بهذه المسألة القول فيها حديثاً، على أنها من الأغراض التي يجب العمل على تحقيقها في السلم المقبل.



أما الحقوق والحريات المدونة في الدساتير فيختلف حكمها باختلاف البلاد ، ففي أميركا (١) تعرفون أن المحكمة العليا تملك أن تقضى بأن قانوناً أقرته الهيئة التشريعية وأصدره رئيس الجمهورية جاء مخالفاً للدستور ، وإنما تفعل ذلك حين ترى مثلاً أن قانوناً عطل أو قيد أو خالف بأى وجه من الوجوه حقاً أو حرية أثبتتها الدستور في فصله الخاص ببيان الحقوق ، وأنه وإن كانت المحكمة لا تقضى ببطالان التشريع في ذاته وتقتصر على عدم تطبيقه في خصوص الحالة التي تعرض عليها ، فإنه يترتب على قضائها أن يصبح القانون غير معمول به ، فلا الحكومة ولا الافراد بعد صدور حكم المحكمة العليا تستطيع أن تطبق القانون أو أن تستند الى أحكامه خشية تجدد القضاء بعدم تطبيقه كلما شكاً منه شاك أو اعترض صاحب مصلحة على قيامه .

على انه يجب ألا يبالغ في قيمة قوانين الحقوق من هذه الناحية ، فإن كثيراً من تقاريرها لا يشير الى حريات أو حقوق مطلقة ، وإنما يذكر الحرية ويترك للسلطة التشريعية أو القانون تنظيمها وبيان حدودها ، ومن الأمور المسألة ان حريات الغير ، وإن النظام العام (والآداب العامة) والمصلحة العامة ، قيود لا شك فيها لحريات الافراد وحقوقهم ، وواجب القانون أو السلطة التشريعية تعيين مقتضيات ذلك النظام أو الآداب أو المصلحة ، وهذه المقتضيات هي حدود الحريات وقد تسرف السلطة التشريعية أو تبالغ في تقدير تلك المقتضيات على حساب الحريات وفي مثل هذه الاحوال يمكن أن يقال ان القانون خالف حكم الدستور ، وأنه يترتب عليه تعطيل الحريات التي أعلنها للناس أو تقيدها . ويمكن إذن للأفراد أن تستعدى المحكمة العليا على عمل السلطة التشريعية ، وقد توسعت المحكمة العليا في تقرير حقها في النظر في صحة القوانين من الوجهة الدستورية ، ولكن ليس هذا مجال الكلام في هذا الشأن ، وكيفي أن نذكر ان القوانين تعرض للطعن في صحتها من الوجهة الدستورية إذا انتهكت المساواة ، أو الملكية ، أو الحقوق المكتسبة ، أو أخذت بالاحترام الواجب للعقود .

(١) ثار الجدل قديماً في أميركا في فائدة موثيق الحقوق وعرض لذلك هاماتون في رده على الاعتراضات على خلو الدستور التعاهدى من بيان ميثاق في ذلك النوع . على أن دفاع هاملتون عن الدستور في الطريقة التي وضع بها لم يكن يرمى الى أن تقرير الحريات في الدستور أمر لا ضرورة له أو لا فائدة منه وإنما يرمى الى أنه لا ضرورة لافراد فصل خاص لها . فقد كانت حجته ان الدستور قرر في ثنايا أحكامه تلك الحقوق ، ومهما يكن في ذلك فإن تنقيح الدستور بعد ذلك باضافة ميثاق الحقوق سنة ١٧٩١ جعل ذلك الجدل أمراً نظرياً .



على ان فضل اعلان الحقوق لا يقتصر في أميركا على ذلك فانهم يرون فائدة كبيرة من حيث تربية الناس على عرفان حقوقهم واحترام حقوق الغير . ومن حيث تنبيه السلطة التشريعية نفسها على خطر تلك الحريات ، وإلى وجوب الوقوف دونها وعدم تعديها . والواقع ان تخصيص الحريات بالاشارة ، والتفصيل ، والاشادة بذكرها ، والتنويه بجلالها وسموها على سلطان أقوى السلطات ، وهي السلطة التشريعية ، كل ذلك من شأنه أن يطبع احترامها في نفوس الحاكمين والمحكومين ، وأن يزيد في حرص الناس على تقديرها والحفاظة عليها . والحق ان سياج الحريات هو في نفوس الناس ، فاذا انطوت على احترامها فهي كريمة عزيزة المسكان ، وإذا هانت عليهم هانت على حكامهم كذلك . ومن باب أولى فان لهم من انتهاكها الغنم العاجل ، غنم السلطة والاستبداد ، وان يكن ذلك غنما غير باق ولا مقيم .

وقد حاولت بعض البلاد الأخرى أن تحذو حذو الدستور الأميركي ، وهي قليل وليس لديها مالمدي الولايات المتحدة من تقاليد الحرية والذود عنها والنضال دونها .

أما سائر البلاد الدستورية فلا ترى لاعلان الحقوق ذلك الاثر العملي الذي يمكن من تعطيل القوانين في بعض الاحوال ، لانها وان كانت تسلم بأن القوانين درجات ، بعضها فوق بعض ، وان الدستور يعلو القوانين الأخرى ، فهي لا تولي المحاكم حق التعقيب على أعمال السلطة التشريعية وتحقيق تصرفاتها ، لمعرفة ما إذا كانت مطابقة للدستور أو مخالفة له . وعلى ذلك فهم يخالف القانون الدستور ، وهما تكن المخالفة صارخة ، فلا سبيل للمحاكم لان تعطل فعل قانون أقرته السلطة التشريعية ، ولا قبل لها بذلك ، والحق ان تولية المحاكم مثل هذا السلطان الرهيب يقتضى عادة طويلة على الاستقلال في الرأي ، والشجاعة الأدبية ، وإعداداً غير هين ، واختياراً دقيقاً لهيئة القضاء .

وإذا كان هذا الاثر لاعلان الحقوق يفوت غالبية البلاد الدستورية ، فانه لا يفوتها أثره الآخر الخاص بتنبيه الحكام الى إلزام حدود الدستور وأثره في تربية الجمهور وتبصيره اياهم بحقوقهم يطالبون بها ويعملون على حمل المشرع على احترامها .

وهذان الأثران وان لم يكن لهما الا قيمة أدبية لا قانونية ، لا يجوز أن يهون من شأنهما ، فقد خلقا في البلاد الاوربية ، والبلاد التي أخذت عنها النظام الدستوري ، أموراً ومعاني تعتبر الآن من بديهيات القانون العام ، وهي تجرى مجرى العرف الثابت ، نذكر منها على سبيل المثال :



ان القوانين لانعلاق الحريات العامة أو توقف الانتفاع بها على إذن السلطة التنفيذية ، وآية ذلك ظاهرة في حرية الصحافة، وحرية الاجتماع، وتكوين الجمعيات. وقد كان اشتراط مثل ذلك الاذن شأنًا في كثير من البلاد، كذلك لا يشترط في استعمال تلك الحريات شروط مالية كتأمين، أو غير مالية، مما يكون من شأنه أن يعوق استعمالها أو تقييدها . فاذا علق استعمال الحريات على شيء، فهو أدخل في الاجراءات البسيطة التي تميز السلطة التنفيذية على مراقبة استعمال الحريات، وتمكينها من تنفيذ القوانين. والاصل في الحريات ان الفرد يستعملها على مسؤوليته ، سواء أكانت حرية في شخصه ، أم في عقيدته ، أم في رأيه ، أم في عمله ونشاطه . وهو لا يحاسب الا على ما يمكن أن يأتيه من أعمال مادية ، فليست النزعات أو خواطر الفكر محل حساب ، وليست كذلك جرائم الرأي .

ومن تلك البديهيات انه - فيما عدا العقود التي يبرمها الافراد برضاهم - لا سبيل لالزام الافراد بتكاليف للدولة أو للغير الا بقوانين، ولا تستطيع التصرفات الادارية، سواء أكانت عامة أم كانت قرارات فردية، أن تفرض شيئًا من تلك التكاليف، الا في حدود القوانين، وتنفيذًا لها . وكذلك لا يملك الا القانون، وبعبارة أخرى السلطة التشريعية، أن تفرض جزاء سواء أكان جنائيًا ، أم مدنيًا ، أم إداريًا .

ويجب علي أي حال التمييز بين القيود التي تلحق الحريات، على سبيل التعسف أو الامراف، في تقدير دواعي النظام العام والمصلحة العامة، والقيود التي يستحدثها الشارع تحقيقًا لمعنى التضامن الاجتماعي والمدالة الاجتماعية، سواء كانت قيوداً واردة على حق الملكية في صورة ضرائب أو في صور أخرى، أم كانت قيوداً تنصل باشراف الدولة على مختلف وجوه النشاط الانساني للكف أو التخفيف من تناحر الناس وتنازعهم على الارزاق .

ومهما يكن من ذلك كله ، فانه لا شك في أن الحرية حاجة أساسية من حاجات الطبيعة البشرية . وان حمايتها وظيفة أساسية كذلك من وظائف الدولة ، فهي إذن أمر خاص بكل أمة وبالحكومة القائمة فيها ، غير انه منذ شوهد ان قتل الحريات في بلد يجوز أن يكون تهديدًا لنزعات الشر فيه، ومقدمة لمناوأة البلاد الاخرى العداء، والاعتداء عليها ، واثارة الحروب ، ثبتت فكرة ان الحريات العامة لا يجوز أن يبقى العناية بها، والدفاع عنها، قاصراً على سلطات البلد، التي قد تكون



هي الجانية عليها، وان الدفاع عن الحرية الانسانية يصبح أن يدخل في اختصاص القانون الدولي، وأن يكون للدول شأن فيه .

ولا يخفى ان القانون الدولي، بوجه عام، لا يعرف أفراد الناس، ولا يعترف الا أفراد الدولة، فليس لأحد الناس أن يلجئوا اليه أو أن يحركوا اداته . وكما ان دستور كل بلد يعترف لاهله بحقوقهم في الحياة، والحرية، والمساواة، والملكية، فان دستور الدولة، أو القانون الدولي، يعترف لأفراده، وهم الدول، بحريات وحقوق شبيهة بتلك، هي : حق السيادة، والاستقلال، والمساواة، وحق الدولة على أرضها . وهذه الحقوق تنفي اشتغال بلد بحالة رعايا بلد آخر . على أن القانون الدولي عنته قديماً حقوق الأفراد، حين يكون هؤلاء الافراد مقيمين في بلد غير بلدهم، وجرى العرف بالتسليم بحق الدولة التي يكونون من رعاياها بحمايتهم في الخارج . وأصبحت بذلك حقوقهم وحرياتهم بآمن من العنف، بل غلت الدولة في بعض الحالات فأصبحت حالة أولئك الاجانب خيراً من أحوال الأهلين . ثم اتسع نطاق الحماية الدولية، فشمّل الرقيق، ثم شمل الاقليات الدينية في الدولة العثمانية . وأخيراً ابتدعت معاهدات الصلح التي تلت الحرب العظمى الماضية، نظام الانتداب، والاحكام الخاصة بحماية حقوق الاقليات، وأصبح يترتب على تلك المعاهدات ان قد يكون لدولة أن تحتج على انتهاك حرمة أحكامها، ولو كان هذا الانتهاك في صدد أحد رعايا الدولة التي يقع عليها الاحتجاج .

وقد بدا لبعض الكتاب أن يعتبروا تلك السوابق نواة الحماية الدولية لحقوق الانسان، فلو ان تلك الحقوق دوت وأعلنت في وثيقة دولية عامة وقمتها جميع الدول لصحت أولاً سبنداً قاطعاً لحق الدولة في حماية رعاياها في الخارج والاعتراض على الحريات التي تمس حرّياتهم وحقوقهم، وقد يجوز بسبب عمومها أن تعتمد سبنداً كذلك لحق كل دولة في الاعتراض بالطرق الدبلوماسية على تصرفات لاتنال رعاياها بل تمس رعايا دولة أخرى، أو رعايا الدولة التي يقع عليها الاعتراض أفراداً أو جماعات، ولكن التسليم بثل هذا الحق من شأنه أن يفضي الى اغراء بعض الدول بالتدخل في شؤون البلاد الاخرى . ولعل فيما كان يجري بالنسبة لتركيا على أثر معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ عبرة تقضى بتجنب فتح هذا الباب . ولذلك لا يرى الكتاب الداعون للحماية الدولية لحقوق الانسان مندوحة عن انكار تدخل الدول بالطرق الدبلوماسية لهذا الغرض، ويقترحون أن يكون أمر التدخل محصوراً في هيئة دولية، ك لجنة الانتدابات في عصبة الامم مثلاً،



فان خشى أن يتأثر أعضاؤها بدوافع سياسية ، ورئى أنها لا تكون مأمونة على مثل تلك الحقوق ، فليكن أمر التدخل بيد هيئة قضائية دولية تنصف الشاكين ولو كانوا من رعايا الدولة الظالمة ، وتأخذها باحترام الحدود المرسومة فى تلك الوثيقة العامة .

ولاشك ان الغاية التى يطمح لها أمثال هؤلاء الكتاب بعيدة المنال ، وقد لا تكون مستحبة لما ينطوى فيها من أسباب الاضطراب التى تنجم عن تدخل هيئة دولية خارجية بين الدولة ورعاياها ، لاسيما إذا كانت تلك الهيئة سياسية . وقد يدل اقتراح هذه الوسائل على الأكار والتقدير لحقوق الانسان . وهذا الشعور إذا استقر وثبت فى قلوب المستغنين بالشئون العامة فى الدول المختلفة لاشك كفى بأن يجد أهل كل بلد الضوابط الملائمة لزام كل سلطة حدها ، وتكون حماية الحريات والحقوق بذلك قد تمت على يد أهلها ولم تفرض عليهم من الخارج . وقد لا يكون الاعتراض على تولية هذه الحماية هيئة قضائية دولية قويا كالاقتراض على توليتها هيئة سياسية ، ولكنه اعتراض لا يخلو مع ذلك من الوجهة والخطر .

والحقوق التى تقررها الدساتير فى البلاد العربية ، سواء فيها حق المساواة فى الحقوق والتكاليف ، أم الحريات ، تقرر لجميع المواطنين ، لتمييز بينهم فيها بسبب الاصل أو اللغة أو الدين . فليست الاقليات فى تلك البلاد بحاجة من حيث تقرير الحقوق الى مزيد . وانما الحاجة بالنسبة للاقليات والأغلبية معا تكون ماسة لحماية تلك الحقوق لا لتقريرها . أى للحيلولة دون انتهاك سلطات الدولة لحرمة تلك الحقوق . وسبيل ذلك أن توفر الضوابط للأفراد لاستعداد المحاكم على تصرفات السلطة التنفيذية ؛ وهذه الضوابط متوفرة ولكنها ليست تامة ، ولا يزال من الممكن تهذيب الطرق التى ينتصف بها الافراد من عسف الادارة وزيادة وسائل الانصاف .

أما استعداد المحاكم على تصرفات السلطة التشريعية على الطريقة الاميركية فيحتاج إلى إعداد أطول وسبل أدق ولكننا لا نياس من بلوغه .

كلانا حتى الآن فى الحريات التى قررتها الدساتير واعلانات الحقوق ، وهى بوجه عام حريات سلبية لا تقتضى الدولة لتوفير الحماية لها الا أن تتركها ولا تتعرض لها ، ولكن الحريات التى أضافتها الابحاث الحديثة ، وأتت ترمى الى توفير العمل للأفراد ، وكفالة أرزاقهم فى حدود مواضعة طبعاً ، وتأمين صحتهم ، وزيادة تقيفهم . هذه الحريات من نوع آخر ، إذ هى تقتضى من



الدولة أعمالاً إيجابية ، ولا يتيسر على الدولة تحقيقها إلا إذا ازدادت مواردها واتسعت وجوه نشاطها .

وهذه الديمقراطية الاقتصادية التي ترمي الى توفير كرامة الانسان وتحقيق رفاهيته ، بعد أن وفرت له الديمقراطية السياسية حرياته ، لا تنال طفرة كما كان الحال في حريات الدساتير الأولى ، بل هي تلتمس أسبابها ، وتمهد وسائلها تدريجاً ، ويجب أن تعالج بالصبر وبعد النظر . وهي على خلاف الديمقراطية السياسية ليست بطبيعتها مسألة داخلية لاتعنى الا أهل البلد الواحد . فان المبادلات الاقتصادية جعلت من العالم جسماً واحداً بحيث إذا تألم جزء تداعت له سائر الأجزاء . ويجب إذاً لتحقيق تلك الديمقراطية أن تتعاون الدول ويأخذ بعضها بيد بعض ، فبال تعاون يشهد عضدها ويحسن حالها . ولا حاجة في سبيل إقناع الدول بضرورة التعاون أن يخاطب فيها روح التجرد من المنافع وإثارة الغير ، بل يكفي أن تخاطب فيها الأنانية ، فان الأنانية نفسها تجعل ذلك التعاون واجباً . والواقع ان رفع مستوى الحياة في أى بلد ينبغى فيه زيادة قوة الشراء للفرد العادى ، ولا يتيسر ذلك إلا إذا زيدت الموارد ، وحسن التوزيع . وزيادة الموارد مرهونة بأن ينصرف كل بلد الى مزاوله أقصى ما يستطيع إحسانه من أسباب الانتاج ، مما يكفي لأن يوفر لسكانه درجة الرفاهية المطلوبة . وإذا قصرنا النظر على البلاد العربية فاننا واجدون بها موارد لا حصر لها لما تستعمل بعد ، بل الزراعة التي هي في كثير منها قاعدة الحياة وأساس الثروة قابلة المزيد والتحسين ، ناهيك بالصناعات وباستخراج المعادن والزيت من بطن الارض ، فاذا استثمرت تلك الموارد الى أقصى حدود الطاقة ، اتسعت أرزاق أهل تلك البلاد وأصبحوا قادرين على أن يشتروا من غيرهم السلع التي لا يحسنون صنعها وينتجها غيرهم . والتي أصبحوا يستشعرون بما حدث لهم من اليسر حاجة اليها ، وبذلك ينشأ طلب جديد لسلع البلاد الأخرى وهكذا دواليك ، رخاء كل بلد يحجر رخاء غيره . وقد كانت الانانية في صورتها القديمة تأبى على بعض البلاد إلا أن تجعل غيرها ذليلاً فقيراً خشيماً أن يكون إثراؤه مغنياً له عن سلع البلاد الصناعية السعيدة ، أما التعاون الواجب فقد يكون بالمال وقد يكون بالرجال ، ولكن لعل أهم مظاهره حسن تنظيم شئون العالم واستشعار الدول معنى التضامن الانساني .

وإذا كنا قد أنكرنا أن تكون حماية الحريات في كل بلد أمراً مشاعاً بين الدول ، فاننا لندعو



ونلج في أن يكون تحقيق التحرر من العوز أمراً تتعاون فيه الدول وتتساند وأن تعدل كل منها عن سياسة « بعدى الطوفان » .

وقد أجمع القوم على ان التحرر من الخوف يقتضى حشد كل القوى ، واجتماع الكلمة ، وحسن توزيع أسباب الدفاع ، والوقوف في وجه المعتدى ، وليس التحرر من العوز بمختلف عن التحرر من الخوف .

ولا يسعنى ، وأنا أتحدث اليكم في مؤسسة أميركية الا أن أنه بما فعلته وتفعله أميركا في نشر رسالة رفع مستوى الحياة لبنى الانسان وتأمينهم من الخوف .

وقد كانت رسالة أميركا الأولى في أواخر القرن الثامن عشر ، تلك الرسالة التي أشاعتها الثورة الفرنسية في العالم ، وهي رفع الظلم والطغيان عن الانسان ، واستشعار الحرية والمساواة ، وهذا أول صور الكرامة الانسانية . وقد مضى القرن التاسع عشر ، وصدر القرن العشرين ، والعالم يجاهد في تحقيق تلك الرسالة ، ويتداوله في ذلك السبيل النجاح والفشل ، ولكننا نستطيع أن نشهد بأن العالم ، خصوصاً بعد التجربة الغنيمة ، والمحنة القاسية التي يجتازها الآن ، أصبح ناضجاً لمعنى الحرية ، ولعله منذ الآن ماض فيها قدماً .

ولا شك في أن الرسالة الجديدة ، رسالة التحرر من العوز والخوف ، مكملّة للرسالة الاولى ، وتمة طبيعية لها ، فان الفقر والخوف يذهبان بكل ما تأتى به الحرية من مزايا . وهل من خير في حرية يذل صاحبها الفقر ، أو من خير في حرية يزعزعها الخوف ؟ .

وان كثيراً من الناس ليشك في صدق التصريحات السياسية عما بعد الحرب وعن مستقبل السلام في العالم ، ويعتقد ان التناحر والتنازع بين الدول سيكون أحرماً كان ، ويتهم بالسذاجة كل من يأخذ سحر هذه الاقوال ، وتستهو به تلك الآمال ، ولكن قد يتغلب الطبع وقصر النظر حيناً قصيراً ، فيسير العالم سيرته الأولى . على اننى لا أستطيع أن أسلم بأن أهوال هذه الحرب ستنتهى ، أو ان عظمتها البالغة ستمحى . وأرى من الطبيعي أن أشاطر الرئيس روزفلت أملة حين يقول ، وهو يبلغ الكونغرس الميثاق الاطلسي ، فيتكلم ، لا عن الولايات المتحدة وحدها ، بل عن العالم أجمع :

« وليس هذا حلمًا بعالم خيالى سعيد بعيد ، وانما هي قواعد ثابتة لعالم يمكن تحقيقه في عصرنا ،

وفي جيلنا »



















LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY



Princeton University Library



32101 073827238

(NEC)

DS36

.7

.A447

1946

